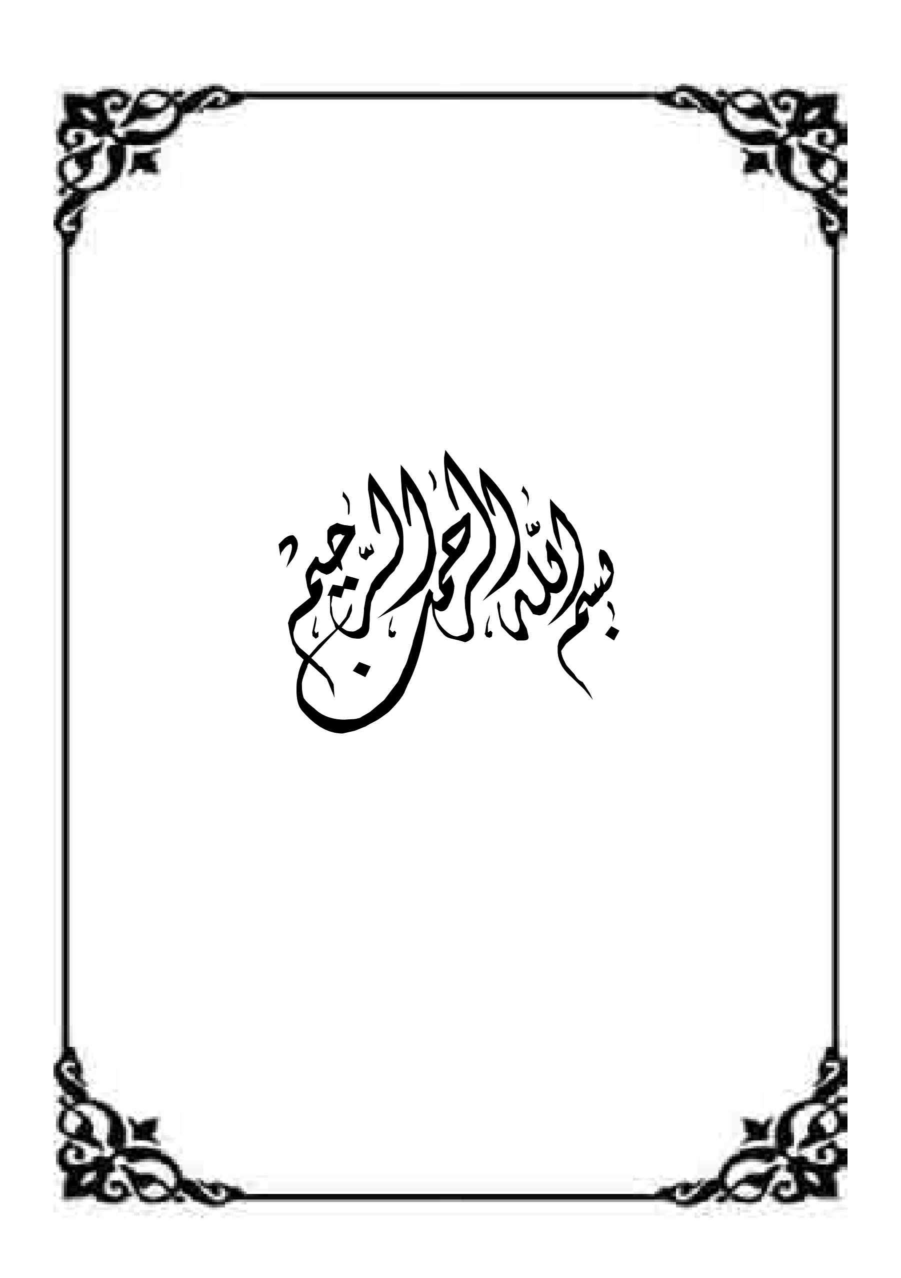
اللغة العربية
وتحديات العصر

اللغة العربية
وتحديات العصر

الأستاذ الدكتور
محمود أحمد السيد


بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

تعد لغتنا العربية هي لغتنا الأم، ذلك لأن الأم تحنو على صغارها، وتحدب عليهم وتشملهم برعايتها وعنايتها واهتمامها، وكذلك هي لغتنا العربية الفصيحة التي تجمع بين أبناء الأمة، وتوحد المشاعر والرؤى والفِكر بينهم خلافاً للعاميَّات التي تفرّق ولا توحّد، وتبدد ولا تجمع.

وإذا كانت اللغة بصورة عامة هي وسيلة الفرد والجماعات للتواصل والتفاهم والتعبير فإن لغتنا العربية بالإضافة إلى ذلك كله هي عنوان هويتنا العربية وذاتيتنا الثقافية ورمز لكياننا القومي ومخزون أمتنا الحضاري ولغة قرآننا الكريم.

وما دامت لغتنا العربية الفصيحة تؤدي هذا الدور الجامع والموحد على نطاق الساحة القومية كانت محط سهام أعداء الأمة إبعاداً لها عن الحياة، ووصماً لها بالصعوبة والتخلف عن مواكبه روح العصر، عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا» وعصر المعلوماتية والتفجر المعرفي والانتشار الثقافي الخاطف.

ولقد حاول هذا الكتاب في الفصل الأول أن يبين المكانة الكبيرة التي تحتلها اللغة في الدراسات الإنسانية، إذ إنها مركز هذه الدراسات ومحورها، وأن يقف على اللغة العربية الأم وتحديات تعليمها وتعلمها في الفصل الثاني، وأن يخصص حيّزاً لتحديات العصر في الفصل الثالث، وأن يوضح تحديات العصر الذي نحيا تحت ظلاله وانعكاساتها على لغتنا العربية.

ولما كان موضوع التعريب محور أحد هذه التحديات ما يزال مطروقاً على صعيد الأمة كان الحديث عن التعريب محور الفصل الرابع، وتضمن الفصل الخامس وقفة على النهوض باللغة العربية بين التوصيات التي خلصت إليها مؤتمرات مجمع اللغة العربية وندواته في السنوات الأخيرة وبين الممارسات على أرض الواقع أما الفصل السادس والأخير فقد سلّط الأضواء على خطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية.

وإننا لنأمل أن يكون في هذا الكتاب ثمّة فائدة، وأن يكون للصيحات والمقترحات الواردة فيه أثر في النهوض بواقعنا اللغوي.

والله الموفق

دمشق في ١٥/ ٥ / ٢٠٠٨م

المؤلف

الفصل الأول
اللغة مركز الدراسات الإنسانية*

* بحث ألقي في مجمع اللغة العربية بدمشق في مؤتمره السنوي لعام ٢٠٠٦
وعنوان المؤتمر «اللغة العربية والمعلوماتية»..

الفصل الأول
اللغة مركز الدراسات الإنسانية

محتوى الفصل:

أولاً ـ مفهوم اللغة ووظيفتها

ثانياً ـ الدراسات اللغوية:

١ ـ عهد الدراسات التقليدية

أ ـ نشوء اللغة وأصلها

ب ـ الدراسة المقارنة بين اللغات

٢ ـ عهد الدراسة الحديثة.

ثالثاً ـ اللغة مركز الدراسات الإنسانية حديثاً

١ ـ علم النفس

٢ ـ علم التربية

٣ ـ الرياضيات

٤ ـ علم الاجتماع

٥ ـ الفلسفة

٦ ـ علم الحياة «البيولوجيا»

٧ ـ الأدب.

رابعاً - نماذج على تعدد ميادين التخصصات

١ ـ الحدث اللغوي

٢ ـ اكتساب اللغة

٣ ـ دراسة المعاني

٤ ـ اللغة والثقافة

خامساً ـ صوى على طريق النهوض اللغوي.



اللغة مركز الدراسات الإنسانية

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم اللغة ووظيفتها والدراسات التي تمت في مجالها سابقاُ، ثم نقف على مناحي الدراسات الإنسانية وموقع اللغة فيها، ونبين أخيراً بعض الصّوى على طريق النهوض اللغوي.

أولاً - مفهوم اللغة ووظيفتها:

لم يعد مفهوم اللغة مقتصراً على أنها مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. (١) وإنما ينظر إلى اللغة حالياً على أنها مفهوم منظومي شامل وواسع لا يقتصر على اللغة المنطوق بها بل يشمل المكتوبة والإشارات والإيماءات والتعبيرات التي تصاحب عادة سلوك الكلام، كما يشمل صور التعبير كافة من تمثيل ورسم ونحت وموسيقا إلخ. . . . إلا أن اللغة المُتحدَث بها تتبوأ المكانة الأولى بين سائر الجوانب المشار إليها، فالإنسان تعلم الكلام قبل الكتابة، والطفل يتكلم قبل أن يكتب، وما اللغة المكتوبة سوى

لغة منطوق بها دونت في نظام مكتوب مصطلح ومتعارف عليه، والاقتصار على اللغة في صورتها المكتوبة يغفل النظام الصوتي في هذه اللغة وآثاره الممكنة على التركيب والمعاني، إذ إن اللغة الصوتية هي وسيلة الاتصال الأكثر ملاءمة، والأكثر مرونة، والأوفر تنوعاً لتجسيد الفكر التجريدي والتعميمي، كما أنها الأكثر شيوعاً واستخداماً في الحياة[٢].

وعلى الرغم من أن المجتمع البشري يحظى بوسائل اتصال أخرى تبقى اللغة المنطوق بها أهم وسيلة اتصال نظراً لكونها تحقيقاً صوتياً لميل الإنسان إلى رؤية الواقع بطريقة رمزية كما يرى «إدوارسابير» من أعلام علماء اللسان في العصر الحديث[٣].

ولقد درس الباحث الأمريكي «تشارلز هوكت» «Charles Hokcet» الخصائص التي تتميز بها اللغة الإنسانية، فألفى من خلال بحوثه أن أهم سمات هذه اللغة أنها اصطلاحية أو تواضعية، وأن مفرداتها تشير إلى أشياء محسوسة في عالم الواقع وإلى الأفعال التي يؤديها الإنسان أو غيره من المخلوقات، كما أنها تعبر عن الأفكار الذهنية المجردة، وأن الخلف يتوارثها عن السلف، وأنها تشير إلى أشياء وأحداث بعيدة عن المتكلم زماناً ومكاناً، يضاف إلى

ذلك كله سمة هامة ولعلها من أهم تلك السمات، وهي مقدرة لغة البشر على الابتكار[٤].

والواقع تعد اللغة إنجازاً غير عادي، إنه إنجاز بشري يمثل جهازاً مهندساً بإتقان لوصف الأماكن والناس، والأشياء الأخرى والأحداث والأفكار والمشاعر، ونحن نستخدمه لإعطاء الاتجاهات وحكاية الماضي وتوقع المستقبل وللإخبار بالقصص الخيالية وللمداهنة والخداع والانخراط في النميمة، وهي طريقة نافعة في نقل أخبار عن آخرين ونقل الخبرة للآخرين[٥].

وغنيٌ عن البيان أن اللغة تؤدي وظائف متعددة في حياة الفرد والمجتمع، فهي وسيلة الفرد للتعبير عن مشاعره وعواطفه وأفكاره، و بها يقضي حاجاته وينفذ مطالبه، ويحقق مآربه في المجتمع الذي يحيا فيه، وبوساطتها ينقل تجربته إلى الآخرين، كما أنه يطلع على تجاربهم الحاضرة والماضية وعلى تجارب الأمم الأخرى وخبراتها، كما أن اللغة هي وسيلة المرء للتحكم في بيئته لأنها أداة التفكير، وثمرته،إذ إننا نفكر باللغة، فنحن نشعر بوجودنا وبحاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها

وندبرها في رؤوسنا، ونظهر منها للناس ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة، ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور[٦].

واللغة هي الجسر الذي تعبر عليه الأجيال من الماضي إلى الحاضر ومن الحاضر إلى المستقبل، وتعمل على تمتين العلاقة بين أفراد المجموعة البشرية، فهي مؤسسة اجتماعية وإنسانية، ولا يتم اجتماع بشري بغيرلغة. ومن هنا كانت معرفة اللغة وإدراك كنهها والكشف عن أسرارها يؤدي ذلك كله إلى معرفة متكلمي هذه اللغة والاطلاع على أنماط تفكيرهم، وتعرف المستوى الحضاري الذي بلغوه، إذ كما يقول «هيدجر» حيث توجد اللغة يوجد عالم، ولما كان التاريخ لا يصير ممكناً إلا في عالم اقتضى ذلك كله أنه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ، فاللغة هي التي أوجدت الحضارات، إذ إن الذي يمنع الحيوانات من أن تكون لها حضارة هو في المحل الأول افتقارها إلى اللغة وعدم وجود قدرة كلامية وفكرية لديها تساعدها على مواصلة تجاربها وخبراتها»[٧].

وهكذا نرى أن اللغة قديماً وحديثاً تمارس سلطتها علينا سواء بسحر أساطيرها أو ببلاغة خطبائها أو بتضليل إعلامها وزيف إعلانها، ولكنها وسيلتنا المثلى لتحطيم القيود وتحرير

الفكر والتصدي للجائر والزائف والجامد والتابع والناقل وغير ذلك من غير الصحيح وغير الأصيل وغير الأخلاقي، فمن خلال مجازها تحررنا من أسر الكلمات والمعاني السائدة، ومن خلال ابتكاريتها نجعل من الإبداع حقاً مشاعاً للجميع، ومن خلال مرونتها نكتسب قدرة التعامل مع تناقضات الواقع ومتغيراته[٨].

وفي عصرنا الحالي، عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، أضحت اللغة هي الوجود ذاته، وقد أصبح هذا الوجود مرتبطاً بثقل الوجود اللغوي على الشابكة «الانترنت» وقديماً قال سقراط لجليسه: تكلم حتى أراك،أما اليوم فالشعار هو: تحاور عن بعد حتى يراك الآخرون وتراهم، ومن ثم ترى ذاتك أنت وهي بعيدة عنك أو لصيقة القرب منك في عصر بات فيه سؤال الهوية: من أنا؟ ومن نحن؟ مطروحاً بشدة وعلى أوسع نطاق [٩].

ثانياً - الدراسات اللغوية

يمكننا أن نميز في الدراسات اللغوية بين عهدين، عهد الدراسة التقليدية، وعهد الدراسة الحديثة، وفيما يأتي فكرة عن كل من هذين العهدين.

١ ـ عهد الدراسة التقليدية:

ويمتد هذا العهد من زمن الإغريق حتى بداية القرن العشرين، وقد اتجهت أنظار الباحثين اللغويين فيه اتجاهين

بارزين: أولهما تناول دراسة أصل اللغة ونشوئها، وثانيهما تناول الدراسة المقارنة بين اللغات.

أ ـ نشوء اللغة وأصلها إن أسئلة:

ما أصل اللغة؟ وكيف نشأت؟ ومتى وضعت؟ كانت مثار اهتمام المفكرين والفلاسفة منذ القدم، وكثيراً ما تضاربت آراؤهم وتناقضت فكرهم في هذا المجال. ويمكن تلخيص مناحي التفكير في هذا الموضوع في ثلاثة توجهات[١٠].

التوجه الأول:

يرى أن اللغة توقيفية من السماء، بمعنى أن الله علمها آدم فهي وحي من السماء ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ومن أصحاب هذا التوجه «أفلاطون» و«هرقليطس» عند «اليونان» و«أحمد بن فارس» في التراث العربي الإسلامي والفيلسوف الفرنسي «دي بونالد» في العصر الحديث.

التوجه الثاني:

ويرى أن اللغة مواضعة واصطلاح من صنع الإنسان، ومن أعلام هذا المنحى «أرسطو» لدى اليونان، «وابن مسكويه» في تراثنا العربي الإسلامي وكذلك «ابن جني» في هذا التراث، والفيلسوف الإنجليزي «لوك» في العصر الحديث «وآدم سميث» من المعاصرين.

التوجه الثالث:

ويوفق بين الاتجاهين الأول والثاني، فهو يوفق بين التوقيفية والمواضعة، ومن أعلامه أفلاطون عند اليونان والراهب «غريغوريوس» في العصر الوسيط، والقاضي أبو بكر في تراثنا العربي الإسلامي، و «فيكو» في إيطاليا الذي يرى أن هذا التوجه أقرب إلى المنطق والعقل.

وواقع الأمر ليس في طاقة الباحث أن يكتشف أطوار النشأة الأولى للغة، ولقد رئي أن البحث في مثل هذه الأمور ما هو إلا ضرب من الميتافيزيقية الغيبية التي أبعد ما تكون عن الأدلة العلمية. ومن هنا قررت جمعية باريس اللغوية في أول نظام صدر لها عام ١٨٦٦ ألا تسمح بمناقشة أي بحث من البحوث يتناول أصول اللغة[١١]، ويرجع السبب الأساسي في ذلك في ضوء رأي» فندريس«إلى الرغبة في تجنب النقاش العاطفي الذي لا يليق بموضوعية العلم.

ب ـ الدراسة المقارنة بين اللغات:

كانت الأسفار في القرن السادس عشر عاملاً على إطلاع الغربيين على لغات أخرى، مما أدى إلى ظهور نواة الدراسات المقارنة فعالج «كانينيوس» في كتابه «بنية اللغات» بعض التراكيب اللغوية في السريانية والآشورية والتلمودية والحبشية والعربية[١٢] .

وفي القرن السابع عشر عكست مسرحية «البورجوازي النبيل» لموليير النقاش حول تعليم الكتابة، وظهرت عدة كتب حول مسائل الكتابة في الإنجليزية أو الأسبانية، وبرزت الدراسات الصوتية، وكانت تسيطر في هذا القرن النظرية القائلة إن العبرية هي أم اللغات.

وفي القرن الثامن عشر استمرت الدراسات النحوية أكثر من الصوتية،واستمر في هذا القرن الجرد الوصفي للغات الحية من قبل المبشرين والكتاب الذين رحلوا إلى أسيا وأفريقيا، ونشر العالم الألماني «بالاس Pallas» كتاب «مفردات مقارنة بين جميع لغات العالم» وجعله في شكل معجم يشمل **٢٨٥** لفظة مقتبسة من حوالي مائتي لغة أوروبية وآسيوية **!** ثم أضيف إليها لغات أفريقية وأمريكية في طبعات لاحقة [١٣].

وشهد هذا القرن البحث في أصل اللغات ودحض الألماني «لايبنز Leibniz» علمياً النظرية القائلة إن العبرية هي أم اللغات، ويعد القرن الثامن عشر عصر النظريات، إذ تعددت فيه النظريات التاريخية في نشأة اللغات واطرد الأسلوب المقارن في دراسة اللغات **(١٤)**

وفي القرن التاسع عشر، وعلى أثر اكتشاف اللغة السنسكريتية توجهت العناية نحو دراسة هذه اللغة فصدرت في

الإنجليزية خمسة كتب تعالج القواعد السنسكريتية ورأى «شليغل SechlGEL» الألماني ضرورة وضع معجم مقارن لبيان الشبه بين السنسكريتية واللاتينية واليونانية والألمانية والفارسية، إذ يرى أن هذه اللغات تشتمل على العديد من الجذور المشتركة، وقد بلغ من اتفاق القواعد السنسكريتية مع القواعد اليونانية واللاتينية حداً لا تختلف السنسكريتية عن كل منهما أكثر مما تختلف اليونانية عن اللاتينية [١٥].

وبرز في هذا القرن كل من راسك «Rask» الدنماركي، ويعود إليه الفضل في تعزيز المباحث اللغوية والمقارنة، كما برز «**بوب** BoPP» مؤسس القواعد المقارنة، وصنف «ماكس موللر» اللغات وفق الأسس التصنيفية المعتمدة في علم كعلم النبات، مما يدل على تأثر مناهج دراسة اللغة بالمناهج المعتمدة في العلوم الطبيعية، ويبدو أن الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر توقفت عند حدود الاستقصاء التاريخي والدراسات المقارنة، يضاف إلى ذلك مجاراة لغويي العصر علماء الطبيعة في مناهجهم وآرائهم التي طبقت في مجال دراسة اللغة [١٦]..

٢ ـ عهد الدراسة الحديثة:

كانت الدراسات اللغوية دراسات تاريخية

ومقارنـة في القرن التاسع عشر، فإذا هي تتحـول مع «دوسوسير De Saussure» إلـى الـبـحـث فـي الـلـغـة عـلـى انـهـا واقـع اجتماعي، له خصائصه التركيبية وأصواته الخاصة به، فجاء بنظرية لغوية تعد ثورة في الدراسات اللغوية المعاصرة لا في أوروبا وحدها بل في العالـم أجمع، إذ غيرت هذه النظرية طبيعة التفكير اللغوي، ووضعت حداً فاصلاً بين عهدين من الدراسة اللغوية: عهد الدراسة التقليدية وعهد الدراسة الحديثة التي بدأت مع ظهور مدرسة «سوسير»، ويطلق عليها مدرسة «جنيف» أيضاً، وقد انطلقت من رؤيتها أن اللغة نظام أو منظومة «System» وهي ظاهرة اجتماعية تخضع للتطوروالتغير المستمرين، ويجب ألا تنحصر دراسة اللغة في استقصاء أصولها التاريخية البعيدة المدى، ومدى تأثرها باللغات الأخرى أو تأثيرها فيها، بل لا بد أن يتركز البحث في تركيبها وأصواتها وخصائص مفرداتها، إذ إن دراسة اللغة في أصولها ومراحل تطورها أمر مهم، ولكن الأهم استقصاء واقعها القائم وأشكالها الراهنة في زمن محدد بمعزل عن خلفياتها التاريخية البعيدة المدى، وقد نظر إلى اللغة على أنها وحدة متكاملة لا تكتسب قيمتها ومعناها إلا من ارتباط أجزائها متمثلة في المفردات والجمل والأصوات، وأن أي تغيير في جانب منها يمتد إلى بقية الجوانب»[١٧].

ولقد دعا «دوسوسير» إلى إيجاد قواعد عامة للغات جميعها، وكان قد أشار إلى ذلك قدماء الإغريق من قبل وتبناه «تشومسكي» من بعد.ثم ظهرت مدرسة «براغ» اللغوية بعد مدرسة «جنيف» ودعت مدرسة«براغ» إلى الكشف عن تأثر اللغة بكثير من الظواهر العقلية والنفسية والاجتماعية، وهذا ما أدى إلى ظهور ثلاثة فروع في غلم اللغة هي: علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم الأسلوب أو الأسلوبية، وظهر هذا اللون في البحث اللغوي أي الأسلوبية على يد الناقد «جاكبسون». وكان لأدوار سابير «E.Sapir» دور كبير في تطور الدراسات اللغوية وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين الفكر واللغة وبينهما وبين البيئة الاجتماعية. ويرى أن اللغة مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب، وتؤدي وظيفة الاتصال، إذ إن هدفها الأساسي هو التعبير عن الفكر والرغبات والعواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها (١٨).

وكان العالم اللغوي «بلومفيلد Blommfield» أبعد أثراً في الدراسات اللغوية من «سابير» إذ إنه تأثربالمدرسة السلوكية التي لا تهتم إلا بدراسة ظاهر السلوك فقط.

وكان سكتر «Skiner» في كتابة المشهور «السلوك اللغوي» (١٩) قد حمل لواء الاتجاه السلوكي في دراسة اللغة وتدريسها.

واتصف النصف الأول من القرن العشرين في أمريكا بالمنهج التجريبي إن في العلوم الطبيعية أو في الدراسات اللغوية، فما من فرضية إلا تخضع للدراسة العلمية، وكان ثمة تأثر بالاتجاه السلوكي في ميدان علم النفس وإعطاء اللغة المنطوق بها الأهمية.

ودخلت الدراسات اللغوية مرحلة جديدة على يد العالم اللغوي الأمريكي «تشومسكي» الذي يعد رائداً في الدراسات اللغوية المعاصرة بعد أن ثار على المفاهيم التي كانت سائدة قبله، فقد انتقد بعنف نظرية السلوكيين ومنهجهم في النظر إلى طبيعة اللغة واكتسابها، ، وتبنى تقسيم «دوسوسير» للغة إلى لغة وكلام،إلا أنه فرق بين مظهرين لغويين هما المقدرة أو الإبداعية اللغوية والأداء اللغوي. والمقدرة اللغوية هي مجموعة من القواعد الذهنية وهي قواعد فطرية غير محددة تمكن الإنسان من صوغ جمل جديدة وفهم جمل أخرى من غير أن يكون قد تعلمها سابقاً.

أما الأداء اللغوي فيعرفه «تشومسكي» بأنه ممارسة اللغة واستعمالها في الحياة اليومية، ويرى أن هدف الدراسة اللغوية هو معرفة المقدرة اللغوية من خلال الأداء اللغوي، إذ لا يمكن الوصول إلى تلك القواعد الذهنية التي تنظم لغة من اللغات إلا عن طريق الكلام الخارجي المحسوس، ويسمي

تلك القواعد بالقواعد المولدة ويصوغها على هيئة المعادلات الرياضية [٢٠].

ولقد نحا تشومسكي منحى «دوسوسير» في الدعوة إلى إيجاد القواعد العامة أو الواحدة للغات كافة.

ولقد عارض كل من «شارل فلمور Charles Filmors» و«زوب Suppes» ما ذهب إليه «تشومسكي» من آراء في مجال الدراسة اللغوية، وما يزال السجال في هذه المسارات قائماً [٢١]. **وثمة مدرسة «كوبنهاجن» اللغوية التي حاولت إنشاء بناء منطقي رياضي يستند إلى جهاز من التعريفات والمصطلحات.**

ثالثاً: اللغة مركز الدراسات الإنسانية حديثاً

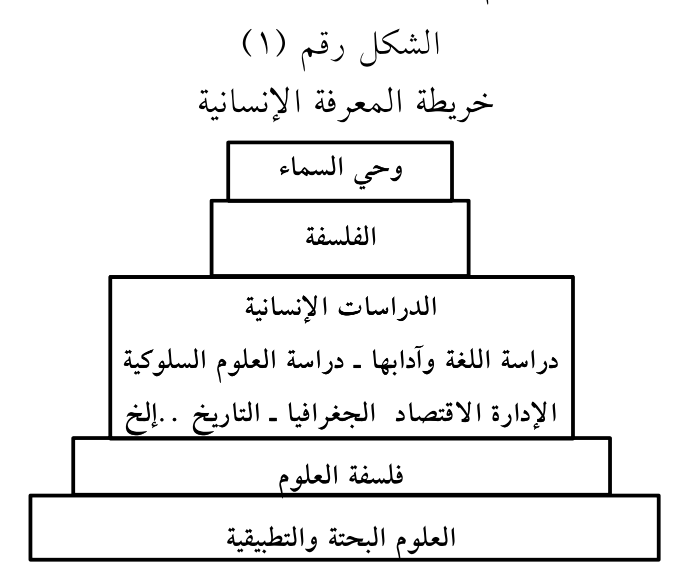
إن دراسة اللغة لم تعد لتقتصر على اللغويين وحدهم، وإنما شملت محاولات قدمها الفلاسفة والمناطقة ورجال الدين والعاملون في مختلف التخصصات العلمية ممن أثاروا تساؤلات تتعلق بطبيعة اللغة ومكوناتها وتعدد وظائفها وعلاقاتها بالفكر والإنسان والمجتمع .

وثمة من الباحثين (٢٢) من رسم المعرفة الإنسانية بشكل هرمي الشكل رقم (١)، قاعدته العلوم البحتة والتطبيقية وهي وسيلة التمكين في الأرض ووسيلة تمكين الإنسان من حسن

القيام بواجب الاستخلاف في الأرض فهي ضرورة وفرشة أساسية لا بد أن يلم بها كل إنسان.

الشكل رقم (١)

خريطة المعرفة الإنسانية



وتأتي فوق العلوم البحتة والتطبيقية فلسفة العلوم، والفلسفة هي حب الحكمة بمعنى أنه لا بد من الرؤية المادية حقائق ميتافيريقية، وفوق ذلك تأتي الدراسات الإنسانية لأن الإنسان مخلوق مكرم وكل ما يتعلق بهذا المخلوق المكرم فهو مكرم: دراسة اللغة وآدابها، دراسة العلوم السلوكية، الإدارة،الاقتصاد الجغرافيا، التاريخ... كل هذه المعارف لا بد أن تدخل ضمن الدراسات الإنسانية، ولما كانت متعلقة بهذا المخلوق المكرم فهي مكرمة وتأتي فوق فلسفة المادة.

وفوق هذا تأتي الفلسفة على الإطلاق وتنحو إلى توظيف كل نوع من أنواع المعارف المتاحة سواء أكانت نظرية أو تطبيقية بمعرفة الله سبحانه وتعالى،وفي قمة الهرم وحي السماء. ولما كان لا يمكن فهم المعرفة الإنسانية في مختلف مستوياتها على الهرم المعرفي إلا بوساطة اللغة جاءت تقانة المعلومات والهندسة الوراثية في عصرنا لتضع اللغة على قمة الهرم المعرفي، وأصبحت اللغة رابطة العقد للخريطة المعرفية والركيزة الأساسية لفسفة العلم، وما من مذهب فلسفي إلا وله شقه اللغوي، وما من فرع من فروع الفن إلا ويشارك اللغة في كثير من سماتها، وما من فرع من فروع العلم إلا وله صلته باللغة، وغدت مسألة اللغة ساحة ساخنة للتداخل الفلسفي والعلمي والتربوي والإعلامي والتقاني، وباتت ترتبط بعلاقات وثيقة مع الفلسفة والعلوم الإنسانية والطبيعة والفنون بأنواعها، وأقامت علاقة وثيقة مع الهندسة وذلك من خلال هندسة الذكاء الاصطناعي التي تسهم فيها اللسانيات الحاسوبية بقسط وفير(٢٣).

ومن يلق نظرة على موقع اللغة على خريطة المعرفة كما يوضحها الشكل رقم (٢):

الشكل رقم (٢)

موقع اللغة على خريطة المعرفة (٢٤)

إنسانيات:

تاريخ ← اللغويات التاريخية.

علم الإنسان «انثروبولوجيا» ← الأنثروبولوجيا اللغوية.

جغرافيا ← التعبير اللغوي المكاني

علم الاجتماع ← اللغويات الاجتماعية «علم الاجتماع اللغوي»

علم النفس ← علم النفس اللغوي.

طبيعيات ورياضيات:

علم الحياة «بيولوجيا» ← البيولوجيا الجزئية الرمزية.

علم وظائف الأعضاء «فسيولوجيا» ← اللسانيات الأعصابية.

فيزيـــــاء ← علم طبيعة الأصوات.

جيولوجيا ← أركيولوجيا اللغة.

منطق رياضيات ← الدلالة الصورية

فنون

أدب، شعر ← الأسلوبية، المجاز.

موسيقى ← علم الموسيقا الرمزي.

تشكيل ← فنون الخط والزخرفة.

الهندسة ← هندسة اللغة.

علوم الحاسوب ← اللغويات الحاسوبية.

الفلسفة ← نظرية المعرفة.

يجد أن هذا الموقع الفريد للغة على خريطة المعرفة الإنسانية «يؤكد أن اللغة ركيزة أساسية للمعرفة على اختلاف أنواعها حتى إنه يقال: أينما يكن مسلكك في دنيا المعرفة فابحث عن اللغة: قمة العلوم الإنسانية، ورفيقة العلوم الطبيعية، وركيزة الفلسفة عبر القرون، ورابطة عقد الفنون ومحور تقانة المعلومات وهندسة برمجتها» **(٢٥)**.

ولو وقفنا على العلاقات بين اللغة وبعض العلوم المعنية بها لوجدنا ما يأتي:

١ ـ **علم النفس**: إن اهتمام علم النفس يتطرق إلى معظم نواحي اللغة تقريباً وخاصة ماله علاقة بالعقل والنفس البشرية، ومما يشغل بال علماء النفس اللغوي طرائق تكوين العادات اللغوية، إذ نظر إلى اللغة على أنها عادة لا يختلف اكتسابها عن اكتساب أي عادة أخرى من عادات الإنسان، ويشغل بالهم أيضاً النمواللغوي وعلم نفس (سيكولوجية) القراءة، وعلاقة اللغة بالشخصية وأمراض الكلام . . . . . إلخ.

٢ ـ **علم التربية**: والمربون يتناولون اختيار المادة اللغوية وبناء المناهج اللغوية على أساس تعرف أساسيات اللغة ومتطلبات الناشئة وحاجاتهم واهتماماتهم، ومطالب المجتمع الذي يتفاعلون معه، كما يتناول المربون طرائق تدريس اللغة،

وتكوين المهارات اللغوية وأساليب تقويم التحصل اللغوي . . . إلخ ومن المربين من عني بإيجاد وسائل اتصال أخرى غير اللغة المنطوق بها لمساعدة الصم والبكم على تعلم اللغة وإيجاد طريقة اللمس لتعلم القراءة والكتابة للمكفوفين وطرائق أخرى لتعليم اللغة للمتخلفين عقلياً أو لأولئك الذين لديهم عيوب لغوية مختلفة .

٣ ـ **الرياضيات**: زاد اهتمام علماء الرياضيات باللغة في حياتنا المعاصرة حتى أصبح لعلم اللغة فرع خاص يسمى «علم اللغة الرياضي» يدرس في كثير من الجامعات، وأسبغت التقانة الحديثة على اللغة صفة عملية بالغة الأهمية، فأخذوا يدرسون اللغة من حيث الطريقة الرياضية التي تتحكم في صوغ الرسالة ثم في فك رموزها، وتخزين المعلومات والبيانات في الحاسوب والترجمة الآلية. . . إلخ. واحتل «علم اللغة الحاسوبي» مكانة بارزة فهو علم دراسة أنظمة بالحاسوب لغرض فهم اللغة الطبيعية وتوليدها، ومن تطبيقاته الترجمة الآلية، واسترجاع المعلومات والأنظمة التفاعلية مثل قواعد البيانات وتطبيقات الحاسوب المرتبطة باللغة الإنسانية، ومعالجة اللغة الطبيعية من حيث التوليد والتحليل، تحليل الجمل والنصوص والتحليل النحوي والدلالي.

٤ ـ **علم الاجتماع**: لما كانت اللغة من أهم مقومات

المجتمع كان اهتمام علماء الاجتماع والمتخصصين في علم اللغة الاجتماعي اهتماماً كبيراً، يشاركهم فيه علماء الأجناس البشرية «لأنثروبولوجيا» وموضوعات اهتمام هؤلاء جميعاً كثيرة ومتشبعة، تركز في بعض جوانبها على علاقة اللغة بالمجتمع.

٥ ـ **الفلسفة**: إن علاقة اللغة بالفلسفة تنبثق من علاقة كلتيهما بالفكر، ووجدت الفلسفة في اللغة أداتها المثلى، إن لم يكن لشيء فلكون اللغة وسيطاً بين الذاتية والموضوعية، فاللغة هي حلقة الوصل بين الذات العارفة وما تسعى إلى معرفته أو تعريفه من موضوعات خارجها. ولقد لجأت اللغة إلى الفلسفة بدافع من حاجتها إلى نهج معرفي، فوجده، «دوسوسير» مؤسس علم اللغة الحديث في فلسفة «بيرس» الرمزية مدخله لصياغة العلاقة اللغوية المحورية التي تربط بين الرمز اللغوي ومدلوله، وجاء «تشومسكي» ليتخذ من فلسفة «كانت» أساساً لتنظيره اللغوي، إذ إن «كانت» افترض وجود قدرة ذاتية كامنة في العقل الإنساني، وهي الفرضية التي أقام عليها «تشومسكي» انموذجه الذهني بديلاً عن النموذج السلوكي الذي ساد على يد «سكنر» وأتباعه، وتطورت دراسة المعنى على أيدي الفلاسفة أكثر مما تطورت على أيدي اللغويين.

ولقد نجم عن حوار اللغة مع الفلسفة أن اللغة انتقلت من دور المقترض من الفلسفة إلى كونها مدخلاً أساسياً للبحث الفلسفي [٢٦].

٦ ـ **علم الحياة (البيولوجيا)**: تعد علاقة اللغة بالبيولوجيا في ذروة العلاقات المعرفية بلا جدال، فهي تمثل لقاء اللغة قمة العلوم الإنسانية مع البيولوجيا التي تتسنم ذروة العلوم الطبيعية، وتمثل هذه العلاقة أقصى صور المواجهة بين المادي واللامادي، وبين الرمزي والعضوي.

٧ ـ **الأدب**: بدأ علم اللغة يرفد الأدب بنتاج دراساته الخاصة بالدلالة والأسلوب، وبدا أثر ذلك يظهر في النقد الأدبي، وأخذ الأديب وعالم اللغة يعملان معاً في تحليل النماذج الأدبية المختلفة بغية فهم أعمق لها [٢٧]

رابعاً: نماذج على تعدد ميادين التخصصات.

نحاول فيما يأتي تقديم بعض النماذج على اهتمام العلماء باللغة وعنايتهم بدراستها، وهم من اختصاصات متعددة.

الحدث اللغوي:

لو وقفنا على الحدث اللغوي لنتبين من يعنى به من العلماء لوجدنا أن ثمة ثلاثة أنواع من العلماء يعنون بدراسة الناحية الصوتية (٢٨)، فهنالك أجهزة النطق التي تتحرك لإحداث الأصوات يعنى بها عالم وظائف الأعضاء من ناحية وعالم الصوتيات من ناحية أخرى.أما الصوت فبعد انطلاقه في الهواء فهو من اختصاص عالم الطبيعة والمهندس الكهربائي

المتخصص بوسائل الاتصال، والذي يعنى بصورة خاصة بتحويل الأمواج الصوتية إلى أمواج كهرومغناطيسية للاستفادة منها في مجال الاتصالات البعيدة لمدى، والصوت الذي يطرق أذن المستقبل أو الملتقى هو من اختصاص عالم وظائف الأعضاء. أما علاقة الدماغ باللغة والنطق فيشترك في دراستها اللغوي وعالم النفس والطبيب المختص بالجهاز العصبي، وذلك في محاولة لتفسير تلك العلاقة، والإفادة منها في علاج بعض الاضطرابات والأمراض اللغوية من ناحية،وفي الاهتداء إلى أسرار بعض أوجه اللغة من ناحية أخرى.

اكتساب اللغة:

يعد موضوع اكتساب اللغة من الموضوعات المبدئية في الدراسات الإنسانية عامة، وهو من القضايا المعرفية ذات الطابع الشمولي إن في توفيره نموذج تقاطع الاختصاصات واشتراك المعارف، أو في اتصاله بقضايا التنظير التأسيسي والمواصفة التطبيقية معاً.وأول ما يمثل في قضية الاكتساب من حيث طرقه الاختيارية ووسائله العملية علم التربية. كما أن علم النفس من العلوم التي تعكف على دراسة ظاهرة الاكتساب بوصفها معطيات تفاعل النفس مع العالم الخارجي في تقبلها مؤثراته واستجابتها لتحدياته. ومن البدهي أن يهتم علم النفس

التربوي الذي هو فرع من الاختصاصيين السابقين بقضية التحصيل باعتبارها إشكالاً نفسياً وتربويا في الوقت نفسه.

ويأتي إلى جانب هذا وذاك النظر التجريدي العام ليتطرق إلى القضية نفسها من حيث المعرفة وفلسفة العلوم فيحصل لموضوع الاكتساب بعد أصولي تتضح بموجبه سبل الإدراك.

كما أن أحق أجناس المعرفة البشرية بتناول حصول الإدراك في طرائقه وتقلباته إنما هو علم اللغة لأن اللغة سبيل شامل وغير مقيد في كل تحصيل معرفي واكتساب إدراكي، ولأنها فضلاً عن كونها أداة الاتصال بين الإنسان والعالم الخارجي بما في ذلك الإنسان ذاته فإنها تتنزل منزلة الرابط الجدلي الفعال بين العقل من حيث هو أداة التفكير ومكتسبات العقل من حيث هي موضوع التفكير.

وعندما قامت اللسانيات المعاصرة على مبدأ الشمول المعرفي ودك حواجز الاختصاصات تناولت موضوع اكتساب اللغة ما اتصل منه باللغة ذاتها، وما ارتبط بالمعرفة والإدراك جملة، ومما ساعدها على ولوج موضوع اكتساب اللغة ثلاثة أمور:

أولها: ازدهار اللسانيات التطبيقية وخاصة في مجال تعليم اللغات.

ثانيها: بروز علم النفس اللغوي ضمن أفنان اللسانيات العامة.

وثالثهما: بروز علم التحكم الآلي (**٢٩**).

٣ ـ دراسة المعاني:

إن مجالات الجدل القديمة في اللغة على الرغم من انطفاء شعلتها ردحاً من الزمن عادت من جديد في ضوء البحوث المتعلقة بعلاقة اللغة بالواقع وفهم هذا الواقع. وشارك في هذا الجدل وفي الدراسات المتعلقة به الفلاسفة وعلماء المنطق وعلماء اللغة وعلماء النفس، وعلماء الأجناس،وما زالوا يشاركون فيه حتى اليوم.

وتعد الدراسات المتعلقة بالمعاني الملتقى الذي يجتمع فيه مختلف أنواع العلماء من رياضيين وفلاسفة وأصحاب المنطق وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الأجناس والمربين، ذلك لأن للمعنى أو الدلالة اللغوية أوجهاً متعددة: منها ماله علاقة مباشرة بالتركيب اللغوي أو المفردات اللغوية، ومنها ماله علاقة بالعقل، ومنها ماله علاقة بحقيقة الوجود، ومنها ماله علاقة بالصواب والخطأ والحق والباطل، ومنها ماله علاقة بمقدار المعلومات التي تنقلها الرسالة اللغوية، ومنها ما له علاقة بالمناسبات التي يتم فيها الحديث، وعلاقة المتحدثين

بعضهم ببعضهم الآخر، ومنها ماله علاقة بالحضارة التي تمثل اللغة أهم مظاهرها، ومنها ماله علاقة بالحقيقة أو المجاز، ومنها ماله علاقة بالنواحي الجمالية . . . . . إلخ (٣٠)

إن دراسة هذا المظهر من مظاهر اللغة رغم تاريخه القديم قد اكتسب وزناً خاصاً في الآونة الأخيرة بتأثير النظريات التي أتى بها بعض علماء اللغة في وقتنا الحاضر. ولقد كانت إحدى الطرائق العملية للاستفادة من هذه الدراسات وما زالت هي كتابة المعاجم اللغوية، وكان أصحاب المعاجم سابقاً يركزون على النواحي التاريخية وعلى الاشتقاق اللغوي، ويجهزون المعاجم الخاصة بلغة واحدة معينة. أما التركيز حالياً فيتم على اللفظ والمعاني المتعددة للمفردات في السياقات المختلفة، وتتناول لغتين أو أكثر.

٤ ـ اللغة والثقافة:

سبقت الإشارة إلى أن دراسة اللغة لم تعد لتقتصر على اللغويين وحدهم، ولم يعد الاهتمام منصباً على المشكلات اللغوية وحدها، فدارس اللغة الذي يكون في الوقت نفسه متخصصاً بعلم الإنسان «الأنتروبولوجيا» يهتم أساساً بالعلاقات العديدة القائمة بين لغة شعب من الشعوب وجوانب ثقافته، فيدرس على سبيل المثال الكيفية التي ترتبط بها لغة جماعة

معينة بمكانة تلك الجماعة أو وضعها الاجتماعي، والرموز اللغوية المستخدمة في الشعائر والاحتفالات الدينية وكيف أن هذه الرموز تختلف عن الكلام اليومي العادي، وكيف يعكس تغير الحصيلة اللغوية في إحدى اللغات مجمل الثقافة المتغيرة للشعب الذي يتكلمها، وكذلك العمليات التي تنتقل بوساطتها اللغة من جيل إلى آخر، وكيف تساعد تلك العمليات على نقل المعتقدات والمُثل والتقاليد إلى الأجيال التالية، فالدرس الأنثروبولوجي للغة يحاول أن يفهم دورها في المجتمعات البشرية والمهمة التي انطلق بها في رسم الصورة العامة للحضارات الإنسانية.إن دراسة اللغة في الإطار الأنتروبولوجي يقوم على إلغاء التعارض بين اللغة والمجتمع على نحو يؤدي إلى دراسة اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ونمطاً سلوكياً في الوقت نفسه.

وتتجه عناية دارسي هذا المجال إلى التخصص في لغات الجماعات المنعزلة نسبياً، وبمعنى آخر يوجهون اهتمامهم إلى اللغات البدائية واللهجات المحلية والإقليمية والآداب الشعبية، واهتم بعض هؤلاء الدارسين للغة باعتبارها خاصة إنسانية ووسيلة اتصال بين أفراد الجماعة الواحدة مما حدا بهم إلى دراسة المهارات الحركية التي تفصح عنها بعض من أعضاء الجسم في أثناء التلفظ ودراسة التعبير الحركي في الحياة

اليومية في أثناء الكلام الشفاهي، وظهر علم اللغة الأثنولوجي الذي يُعنى بدراسة العلاقة بين اللغة والثقافة.

خامساً: صوى على طريق النهوض اللغوي:

لست الآن في مجال حصر التوصيات التي تؤدي إلى النهوض اللغوي، وإنما سأركز على أربع نقاط أجدها جديرة فيما نحن في صدده من بحثنا «**اللغة مركز الدراسات الإنسانية**» **وهذه النقاط هي:**

١ ـ سيرورة المفهوم المنظومي في شؤوننا اللغوية: في ضوء تكامل الخبرة الإنسانية معرفةً ووجداناً وأداءً، وتكامل المعرفة البشرية في ميادينها المتعددة، وكون اللغة مركزاً للدراسات الإنسانية كافة كان علينا اعتماد مفهوم النظام أو المنظومة (System) في معالجة شؤون حياتنا اللغوية، ذلك لأن اللغة هي أهم النظم الرمزية في المجتمع.

وينبغي لنا في دراسة أي نظام أن نركز الانتباه على ثلاثة أمور أساسية أولها مكونات هذا النظام، وثانيها الصلات الوطيدة التي تربط بين هذه المكونات، وثالثها العوامل الخارجية التي تؤثر في هذا النظام، وتربطه بغيره من لنظم الأخرى في إطار أكثر اتساعاً وشمولاً. ولقد أخفقت كثير من الجهود التي بذلت في مجال الدراسات اللغوية بسبب النظرة

الجزئية المفككة إلى مكونات النظام، فالقواعد النحوية على سبيل المثال هي نظام من نظام أشمل هو اللغة، ولا تقتصر القواعد النحوية على ضبط أواخر الكلام فقط، ولا على البنية الداخلية للكلمة مما يطلق عليه «الصرف»، وإنما جاوزت هذا المفهوم إلى التراكيب اللغوية وبنى الجمل الفرعية والأساسية والأصوات والمعاني لأن تغيير الحركات الإعرابية والصيغ والأبنية يؤدي إلى تغير في المعنى، وهذا ما دفع إلى أن يدرس علم المعاني في القواعد النحوية لا في البلاغة لأنه ثمرة أي تعليم للقواعد النحوية وهذا المفهوم الجديد للقواعد النحوية تأتى من مفهوم النظام.

٢ ـ النظرة الشمولية إلى الإصلاح اللغوي: وجه ملك الصين قديما السؤال الآتي إلى الفيلسوف الصيني «كونفوشيوس»: أريد أن أصلح مملكتي فبماذا أبدأ ؟

فأجابه الفيلسوف: ابدأ بإصلاح اللغة. والواقع أن تحديد المصطلحات، وإيجاد القواسم المشتركة فهماً وتمثلاً واستيعاباً بين أبناء الأمة يدفع إلى النهوض والارتقاء. وما دامت اللغة مركزاً للدراسات الإنسانية كافة كان التعاون والتنسيق بين المعنيين جميعاً في المجتمع يرتقي بالمستوى اللغوي.ومن هنا كان الحفاظ على لغتنا العربية مسؤولية الجميع، مسؤولية أبناء الأمة كافة،مسؤولية المجمع والجامعة، ومؤسسات التربية

وأجهزة الإعلام والمنظمات الثقافية والاتحادات والنقابات وخطباء المساجد والكنائس، مسؤولية وجهاء النخبة وبسطاء العامة، مسؤولية الناشر والشاعر والعامل والكاتب والقارئ والمدرس والطالب، ذلك لأن اللغة هي الأم التي ترعى كل ناطق بها وكأنه طفلها الوحيد والأثير، تزهو وتنمو إن تمرد عليها شعراؤها، ولا تضيق ذرعاً بصرامة علمائها، وتغفر للعامة تجاوزها، ولا تحرم النخبة من تميزها كما ذهب إلى ذلك الدكتور نبيل علي **(٣١)**

٣ ـ **بث الوعي اللغوي**: إذا كانت الثقافة قد أصبحت محور عملية التنمية في مجتمع المعرفة، فإن اللغة هي محور منظومة الثقافة بلا منازع. ومن هنا كان تركيز القطبية الواحدة على فرض لغتها على العالم معارضة التنوع الثقافي والتنوع اللغوي، ذلك لأنه إذا ما فقد أي شعب استخدام لغته الأم فإن ذلك سيؤدي إلى طمس ذاتيته الثقافية، وفقدانه هويته المميزة. وفي هذا الصدد يقول شاعر صقلية «اخباز يوبوتيتا»:

«إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل وتسد أفواهها، وتشرد من بيوتها، وتظل مع ذلك غنية، فالشعب يفتقر ويستعبد عندما يُسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، وعندئذ يضيع إلى الأبد».

وفي حياتنا المعاصرة نلاحظ أنه على صعيد السياسة والاقتصاد قد أصبحت اللغة من أشد الأسلحة الأيدولوجية ضراوة، وذلك بعد أن فرضت القوى السياسة وقوى المال والتجارة سيطرتها على أجهزة الإعلام الجماهيري التي أصبح وابل رسائلها وهوائياتها يفعل ما كانت تفعله في الماضي منصات الصواريخ الموجهة،ولا يناظر ضراوة اللغة إلا صمودها، فهي القلعة الحصينة للذود عن الهوية والوحدة القومية، ولا يناظر جبروت اللغة إلا حنوها، كيف لا ؟ واللغة الأم هي شريكة ثدي الأم في إيضاح وعي الصغير، وهي راعية القيم وملهمة المبدع وهادية المتلقي»**(٣٢)**

٤ ـ إيلاء البرامج التربوية اللغوية الصدارة في سلم الأولويات: لما كان عصرنا هو عصر العلم والتقانة، وهو عصر المعلوماتية، ولا مكان فيه إلا للأقوياء بعلمهم ومعرفتهم كان المستقبل المنشود للمجتمع العربي يتوقف على دخوله إلى مجتمع المعرفة ردم الهوة بينه وبين المجتمعات المعرفية. ولما كانت المعرفة قوة كانت التربية هي البداية ونقطة الانطلاق إلى التقدم والنهوض .

وما دمنا في صدد اللغة العربية والمعلوماتية كان التركيز على البرامج التربوية اللغوية على الشابكة «الانترنت» يتصدر سلم الأولويات، إذ إننا في أمس الحاجة إلى:

* ـ برامج تعليم اللغة العربية وتعلمها لأبنائها.

* ـ برامج تعليم اللغة العربية للمهاجرين من أبنائها.

* ـ برامج تعليم اللغة العربية لغير أبنائها من الدول الإسلامية وغيرها.

* ـ برامج التعلم الذاتي.

* ـ برامج تأهيل معلمي اللغة العربية وتدريبهم.

* ـ برامج تركز على أساسيات اللغة العربية «القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً».

* ـ الترجمة الآلية.

كما أننا في أمس الحاجة إلى تطوير معاجمنا العربية وإيجاد معاجم جديدة تستجيب للتطورات المعاصرة، وتتنوع في ضوء الجمهور المستهدف والمراحل العمرية إضافة إلى معاجم تضم التعابير الاصطلاحية، وأخرى تشتمل على المفاهيم من حيث الأمن والأمان والرفض والقبول والانجاز والإخفاق والسر والعلن . . . .إلخ

ولقد آن الأوان لاتحاد مجامعنا اللغوية أن ينجز المعجم التاريخي استناداً إلى مشروع الذخيرة اللغوية العربية.



حواشي البحث

١ ـ ابن منظور ـ لسان العرب - الجزء ٢ الطبعة الأولى - المطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر ١٣٠٠ هـــ ص ١١٦

٢ ـ الدكتور محمود أحمد السيد - في طرائق تدريس اللغة العربية - منشورات جامعة دمشق- ١٩٩٢.

3- E.Sapir - la Linguistique - paris, Minint - 1969

4- Charles Hocket: The problem of universal in language (Cambridge, mass: mit press 1978 Pl - 29

٥ ـ مايكل كورباليس ترجمة محمود ماجد عمر - في نشأة اللغة - عالم المعرفة - الكويت ٢٠٠٦ ص ١٥.

٦ ـ الدكتور طه حسين - مستقبل الثقافة في مصر - مطبعة المعارف ومكتبتها - القاهرة ١٩٣٨.

٧ ـ مجلة عالم الفكر - المجلد الثاني ـ العدد الأول - الكويت ١٩٧١.

٨ ـ الدكتور نبيل علي - الثقافة العربية وعصر المعلومات - عالم المعرفة - الكويت ٢٠٠١ ص ٢٦٢

٩ ـ الدكتور نبيل علي ونادية حجازي - الفجوة الرقمية - عالم المعرفة - الكويت ٢٠٠٥ ص ٣٠٦.

١٠ ـ المرجع الثاني ص ٥ .

١١ ـ جورج مونين - تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين - ترجمة الدكتور بدر الدين القاسم - جامعة دمشق ١٩٧٢ ص ١٦

١٢ - اللسانيات - مدخل إلى علم اللسان الحديث - معهد العلوم الإنسانية والصوتية بجامعة الجزائر - المجلد الأول - العدد الثاني - الجزائر ١٩٧١ ص ٢٧.

١٣ ـ جورج مونين - مرجع سابق ص ١٣٨ .

١٤ - المرجع السابق ص ١٤٨.

١٥ - الدكتور عبد الرحمن أيوب - اللغة والتطور - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٩ ص ١٩.

١٦ - الدكتور محمود أحمد السيد - اللسانيات وتعلم اللغة - دار المعارف للطباعة والنشر - تونس ١٩٩٨ص ٤٦.

17-F.de Saussure-cours de linguistique général - paris 1966

١٨ - المرجع الثالث.

19 - B.f.Skinner - verbal - Behavior L.N.Y.Appletons Century Crofts

20- Chomsky,n. Discussion du rapport de Miller,w, et Ervin,s.(the Development of grammar in child language) child

Development monograph 29 (1964a)31

٢١ ـ الدكتور نايف خرما - أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة - عالم المعرفة - الكويت ١٩٧٨ ص ٩٠

٢٢ - الدكتور زغلول النجار في إحدى محاضراته .

٢٣ ـ الدكتور نبيل علي - الثقافة العربية وعصر المعلومات - مرجع سابق ص ٢٤٠

٢٤ - المرجع السابق ص ٢٤٠.

٢٥ - المرجع السابق.

٢٦ - المرجع السابق ص ٢٤٨.

٢٧ - الدكتور نايف خرما - مرجع سابق ص ٩٠.

٢٨ ـ المرجع السابق ص ٩١ .

٢٩ ـ الدكتور عبد السلام المسدي - اللسانيات وأسسها المعرفية - الدار التونسية للنشر ١٩٨٦ ص ١٣٨

٣٠ ـ الدكتور نايف خرما مرجع سابق ص ٩٣.

٣١ ـ الدكتور نبيل علي - الثقافة العربية وعصر المعلومات ـ مرجع سابق ص ٢٢٨.

٣٢ ـ المرجع السابق ص ٢٢٩ .



الفصل الثاني
اللغة العربية وتحديات تعليمها وتعلمها*

* بحث ألقي في المؤتمر الدولي الأول بدولة قطر وعنون المؤتمر «الطفل بين اللغة الأم والتواصل مع العصر» ٢١ - ٢٣ فبراير» شباط لعام ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم
«اللغة العربية الأم وتحديات تعليمها وتعلمها»

نحاول في هذا البحث أن نتعرف أهمية اللغة الأم وبعض التحديات التي تواجهها في عمليتي تعليمها وتعلمها على المستويين الداخلي والخارجي لنقف أخيراً على بعض من سبل الارتقاء وتطوير الواقع، وقد أخذنا اللغة العربية على أنها دراسة حالة.

أولاً ـ أهمية اللغة الأم:

غني عن البيان أن اللغة مفهوم منظومي شامل وواسع، لا يقتصر على اللغة المنطوق بها، بل يشمل بالإضافة إليها اللغة المكتوبة والإشارات والإيماءات والتعبيرات التي تصاحب عادة سلوك الكلام، بل يشمل جميع صور التعبير من تمثيل ونحت ورسم و موسيقا .....

وإذا كانت اللغة هي وسيلة المرء للتحكم في بيئته لأنها

أداة التفكير وثمرته، فإنها في الوقت نفسه هي الجسر الذي تعبر عليه الأجيال من الماضي إلى الحاضر ومن الحاضر إلى المستقبل، وتعمل على تمتين العلاقة بين أفراد المجموعة البشرية، لأنها مؤسسة اجتماعية وإنسانية ولا يتم اجتماع بشري بغير اللغة، وفي عصرنا الحالي، عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، أضحت اللغة هي الوجود ذاته، وأصبح هذا الوجود مرتبطاً بثقل الوجود اللغوي على الشابكة «الإنترنت» وقديماً قال سقراط لجليسه: «تكلم حتى أراك» أما اليوم فالشعار هو: تحاور عن بعد حتى يراك الآخرون وتراهم، ومن ثم ترى ذاتك أنت وهي بعيدة عنك أو لصيقة القرب منك في عصر بات فيه سؤال الهوية: من أنا ؟ ومن نحن ؟ مطروحاً بشدة على أوسع نطاق[١].

ومن هنا كانت اللغة العربية الأم هي هوية المرء وهوية الأمة التي ينتسب إليها في الوقت نفسه، إنها رمز لكيانه وثقافته ودالة على المستوى الحضاري الذي بلغته أمته، وإنها القلعة الحصينة للذود عن الهوية والوحدة القومية، ولا يناظر جبروت اللغة إلا حنوها، فهي الأم التي ترعى كل ناطق بها وتحضنه بحنان، وكأنه طفلها الوحيد والأثير، تزهو وتنمو إن تمرد عليها شعراؤها، ولا تضيق ذرعاً بصرامة علمائها، وتغفر للعامة

تجاوزها، ولا تحرم النخبة من تميزها على حد التعبير الباحث نبيل علي[٢].

ولما كانت الثقافة هي محور عملية التنمية في مجتمع المعرفة فإن اللغة الأم هي محور منظومة الثقافة المتجذرة والأصيلة بلا منازع. ومن هنا كان تركيز القطبية الواحدة على فرض لغتها على العالم معارضة التنوع الثقافي والتنوع اللغوي، ذلك لأنه إذا ما فقد أي شعب استخدام لغته الأم فإن ذلك سيؤدي إلى طمس ذاتيته الثقافية وفقدانه هويته المميزة، وما أبلغ ما دعا إليه شاعر صقلية (أخبازيو بوتيتا» عند ما يقول: «إن الشعوب يمكن أن تكبل بالسلاسل، وتسد أفواهها، وتشرد من بيوتها، وتظل مع ذلك غنية، فالشعب يفتقر ويستعبد عندما يسلب اللسان الذي تركه له الأجداد، وعندئذ يضيع إلى الأبد»[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن عددا من فلاسفة الغرب ومفكريه قد أشار إلى أهمية اللغة الأم، فها هو ذا «هردر» الألماني يقول: «إن لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، وقلب الشعب ينبض في لغته، وروحه تكمن في لغة الآباء والأجداد»[٤]

وعندما سئل «بسمارك» عن أفظع الأحداث التي حدثت

في القرن الثامن عشر أجاب: «إن المستعمرات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها، وكان يأمل أن تتخذ هذه المستعمرات اللغة الأم» الألمانية بدلاً من الإنكليزية كي يضمن ولاءها لألمانيا. وأثبت التاريخ صدق نظرة «بسمارك» ففي الحربين العالميتين الأولى والثانية كان ولاء الولايات المتحدة الأمريكية لإنجلترا على الرغم من كل خلاف بين أمريكا وانجلترا، ومن مصادر هذا الولاء اللغة المشتركة التي تجمع بين الأمتين، إذ إن لوحدة اللغة أبلغ الأثر في تقريب الفكر وتوحيد الرؤى[٥]

ولقد أدركت الشعوب الحية أنه لا وجود لها على خريطة العالم إلا بتمسكها بلغتها الأم والحفاظ على ذاتيها الثقافة وهويتها المميزة. ونتذكر في هذا المجال نداء القائد الفيتنامي «هوشي مينة» لأبناء أمته إذ يقول: «لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى لغتنا الأم وثقافتنا القومية»، ويتابع قائلاً: «حافظوا على صفاء اللغة الفيتنامية كما تحافظون على صفاء عيونكم، وتجنبوا أن تستعملوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تستعملوا فيه كلمة فيتنامية»[٦]

ولم نذهب بعيداً في الإتيان بالشواهد على الدور الذي تضطلع به اللغة الأم، وها هو ذا الكيان الإسرائيلي أما منا

يقيم كيانه على إحياء اللغة العبرية، وهي لغة ميتة منذ ألفي سنة، فإذا هو يحييها ويعيدها إلى الحياة رمزاً لهويته[٧].

ولما كانت اللغة هي الطالع الخاص الذي يميز شعباً عن غيره كانت الأمارة على هوية هذا الشعب وتميزه عن بقية الشعوب، وهذا ما أشار إليه «Rene Maheu» وهو مدير سابق لمنظمة اليونسكو عند ما يقول: «إن الأمة التي لا تؤمن بنفسها لا وجود لها، وذلك أنه لا يكفي أن يكون لها سفراء ورئيس دولة وموظفو جمارك . . . .، فإذا لم يكن لشعبها طابع خاص به يعبر عن نفسه وخصائصه وميزاته وطرائقه الخاصة في الحياة فلا وجود له، واستقلاله استقلال سطحي لا يدوم، إن الطريقة الوحيدة لأي شعب من الشعوب لأن يعبر عن وجوده هي الثقافة والوعي بالطابع الخاص الذي يميزه عن غيره»[٨].

وما دامت الثقافة هي ذلك الطابع الخاص الذي يميز الأمة، وما دامت اللغة هي محور الثقافة وقلبها وطابعها كانت لغتنا العربية الفصيحة هي محط سهام المستعمرين على مر العصور، إذ أرادوا إبعادها عن أن تتبوأ مكانتها في الحياة لأن التاريخ يعلمنا أنه ما وجدت امة من الأمم إلا كانت لها لغتها الخاصة، وأن فقدانها لهذه اللغة يؤدي بها لا محالة إلى فقدان وعيها وذاتيتها، لأن المحتل يحرص دائماً على فصل ضحاياه عن ماضيهم بقطع وسيلة الاتصال التي هي صدى أسلافهم

والقوة الحية لأمتهم، إذ إن اللغة المكتوبة هي الاسمنت الذي يضمن تماسك الوحدة الوطنية، وهي العروة الوثقى التي تربط بين الأحياء، وتصل بالأموات، ويكتب بها سجل الأمم.

ولغتنا الأم ـ العربية الفصيحة ـ هي مستودع لتراث أمتنا، وهي جسرها للعبور من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، فهي الخيط الذي ينقل تراث الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد إذ بطريق اللغة يتعرف الأبناء والأحفاد ما خلفه لهم الآباء والأجداد في مختلف ميادين المعرفة، فيزداد الناشئ العربي اعتزازاً بحضارة أمته وتقديراً لأسلافه، وتكون معرفته لماضي أمته عامل حفز له إلى الأمام، إذ عندما يعرف ما أسهمت به أمته في إغناء الحضارة الإنسانية وخاصة في الميادين العلمية، يدفعه ذلك إلى وصل الحاضر بالماضي والاستمرارية في إعلاء صرح تلك الحضارة بحثاً وإنتاجاً وإبداعاً.

ولغتنا العربية الفصيحة هي اللغة الأم التي وحدت بين العرب في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم، إذ لولا ذلك الكتاب العربي المبين الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ آية لنبوته وتأييداً لدعوته ودستوراً لأمته لبقي العرب بدداً متفرقين، وما تزال هذه اللغة هي

الرابطة التي تجمع بين أبناء الأمة فكراً ونزوعاً، آلاماً، وآمالاً، تاريخاً، وحاضراً ومستقبلاً.

ثانياً ـ بعض تحديات تعليم اللغة العربية الأم وتعلمها

ثمة تحديات يواجهها تعليم اللغة العربية الأم وتعلمها، بعضها يتعلق بالعملية التعليمية في داخل المدارس والمعاهد والجامعات، وبعضها يتعلق بالبيئة الخارجية وبطبيعة العصر الذي نحيا تحت ظلاله. وفيما يأتي بيان ببعض من هذه التحديات على الصعيدين الداخلي والخارجي.

١ ـ بعض التحديات الداخلية

من التحديات التي يواجهها تعليم اللغة العربية الأم على المستوى الداخلي المتعلق بالعملية التعليمية التعلمية وفي داخل المدارس، ضبابية الأهداف في أذهان القائمين على تعليم اللغة وتعلمها، ومحتوى المناهج التي يتفاعل معها المتعلمون، وطرائق تعليم اللغة وتعلمها، واللغة المستخدمة في هذه العملية.

أ ـ ضبابية الأهداف في أذهان القائمين على تعليم اللغة وتعلمها: إن تمثل الأهداف في أذهان القائمين على تعليم اللغة وتعلمها يساعد أيما مساعدة على تحقيق الأهداف المرسومة لاكتساب اللغة، وذلك لأن الوضوح يؤدي إلى

الوضوح، على حين أن التشويش يؤدي إلى الضياع والتخبط، فإذا كان معلم اللغة لا يتمثل الأهداف المرسومة للمادة التي يقوم بتعليمها انعكس ذلك سلباً على المحتوى وطريقة التدريس وأساليب التقويم، إذ إن العملية التعليمية التعلمية منظومة متكاملة «System» تبدأ بالأهداف وتنتهي بالتقويم مروراً بالمحتوى والأساليب والتقنيات والمناشط والفعاليات، وأي خلل في أي مكون من مكونات هذه المنظومة يؤثر في سائر المكونات الأخرى. وعلى معلم اللغة أن تكون الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها واضحة وجلية في كل مهارة من المهارات اللغوية الأربع «المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة، وثمة مهارات فرعية في كل مهارة من هذه المهارات فمهارات الاستماع على سبيل المثال تتمثل في إدراك هدف المتحدث، ومعاني الكلمات، وفهم الفكر، وإدراك العلاقات بينها، وتنظيمها وتبويبها وتلخيصها واصطفاء المعلومات، وتحليل الكلام والحكم عليه. ومهارات القراءة تتمثل في تعرف الحروف والكلمات والنطق بها صحيحة والسرعة في القراءة، وثروة المفردات، وفهم المعاني القريبة «ما بين السطور» والمعاني البعيدة «ما وراء السطور» والمغزى ونقد المقروء والحكم عليه، وتوظيف ما تم اكتسابه من القراءة في مواقف الحياة.

ب ـ **قصور محتوى المناهج**: إن كثيراً من النصوص التي تتضمنها المناهج لا صلة بينها وبين الحياة النابضة الزاخرة من جهة، ولا صلة بينها وبين عقل المتعلم وشعوره وعاطفته من جهة أخرى، وهذا ما يجعل المتعلمين يهربون من لغة هذه النصوص بطريق غير مباشر ما دامت معبرة وسريعة بدل أن تستبد بهم لغة صارمة تسد عليهم مسالك الحياة فلا تنطلق بهم ولا تدعهم ينطلقون. كما أن المماحكات والتأويلات في المادة اللغوية النحوية التي تدرس في مدارسنا تعد سبباً من أسباب نفور الناشئة من اللغة، وما دامت المادة اللغوية غير ملائمة لمراحل النمو العقلي ولا تلبي حاجات المتعلمين واهتمامهم ولا تراعي ميولهم ورغباتهم، أحجموا عنها وعزفت نفوسهم بسبب عدم الاستثارة لدافعيتهم. ومن هنا كانت عملية اختيار محتوى المناهج اللغوية من الأهمية بمكان، إذ لا بد أن تتم هذه العملية في ضوء دراسات علمية لميول المتعلمين واهتماماتهم ورغباتهم ورصيدهم اللغوي من ألفاظ وتراكب وأنماط لغوية، تعزيزاً للميول الإيجابية وتوجيهاً للميول المنحرفة، وغرساً لميول جديدة في ضوء ما يتفاعلون معه من نصوص لغوية شائقة ومستمدة من حياتهم الوظيفية النابضة وذات النفع الاجتماعي، على أن تتم عملية اختيار المحتوى في ضوء مبدأ الشيوع والتواتر والنفعية الاجتماعية.

ج ـ تخلف طرائق تعليم اللغة وتعلمها : إن لطريقة تعليم اللغة الأهمية الكبرى في تشويق المتعلمين وجذبهم إلى المادة واستساغتهم لها، ومن ثم تمثلها واستيعابها واستخدامها في مواقف الحياة. والمعلم لا يعلم بمادته فحسب وإنما بطريقته وأسلوبه وشخصيته وعلاقاته مع ناشئته وما يضربه لهم من مثل أعلى وقدوة حسنة .

والمعلم الذي يقولب نفسه في طريقه واحدة يلتزمها في دروسه كافة وأسلوب معين ينتهجه في المواقف كافة، هو معلم محكوم عليه بالإخفاق، ذلك لأن الطريقة لا تصنع المعلم، وإنما هو الذي يبتكرها ويستخدمها ويكيفها وفق الأجواء والمستويات التي يتفاعل معها، ولا شيء يعمل على تحنيط المعلم وتجميده وشل قواه مثل إلزامه باتباع طريقة معينة على أنها هي المثلى والفضلى إذ لا يمكن الحكم على فعالية أي طريقة إلا بالتجربة العلمية المنضبطة، لذا كان التعصب لأي أسلوب تعليمي والتحيز له من غير القيام بأي تجربة تثبت فعاليته أمراً بعيداً عن الموضوعية والأسلوب العلمي (٩).

ومن الملاحظ أن طرائق تعليم لغتنا وتعلمها لا تعمل على تكوين المهارات اللغوية لدى المتعلمين بسبب غلبة الطرائق الإلقائية التلقينية في الوقت الذي نرى فيه أن اكتساب المهارة اللغوية يحتاج إلى :

أ ـ الممارسة والتكرار على أن تتم الممارسة بصورة طبيعية وفي مواقف حياتية متنوعة، وعلى ألا يكون التكرار آلياً ببغائياً وإنما مبني على الفهم.

ب ـ الفهم وإدراك العلاقات والنتائج: إذ من دون الفهم تغدو المهارة آلية لا تعين صاحبها على مواجهة المواقف الجديدة وحسن التصرف فيها

ج ـ القدوة الحسنة: على أن يكون المعلمون قدوة أمام متعلميهم في ممارسة اللغة بصورة سليمة وصحيحة.

د ـ التشجيع: ذلك لأن التشجيع والتعزيز يؤديان إلى تقدم ملموس في اكتساب المهارة اللغوية

هـ ـ التوجيه: على أن يبصر المتعلم في أثناء ممارسة الأداء اللغوي بأخطائه ليتجنبها، وعلى أن يكون هذا التوجيه مقترناً باللين والمحبة والحنان.

ومن القصور في طرائق تعليم لغتنا الأم:

أ ـ عدم التدرج في تقديم المهارات اللغوية، إذ المحادثة ينبغي لها أن تسبق القراءة والكتابة، ويتم تعليم القراءة والكتابة من الرصيد اللغوي الذي تم التدريب عليه في المحادثة.

ب ـ تقديم المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من تعليم اللغة وهذا ما يؤدي إلى النفور من اللغة

ج ـ غياب التركيز على الأنماط اللغوية والبنى اللغوية في المراحل المبكرة بحيث يكتسبها المتعلم بصورة عفوية من غير الدخول في المصطلحات النحوية على أن تعرض هذه المصطلحات في المراحل التالية.

د ـ البدء بتعليم القراءة من دون المرور بمرحلة الاستعداد لها، إذ إن مراحل تدريس القراءة خمس تبدأ من مرحلة الرياض وتمتد حتى نهاية ا لمرحلة الثانوية وهي:

ـ **الاستعداد للقراءة في البيت وفي الرياض** من مثل مهارة تمييز المسموع ومهارة التمييز البصري، ومهارة التمييز السمعي البصري، والمهارات البصرية الحركية . . . .إلخ

ـ البدء في تعليم القراءة وتتم في الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي.

ـ التوسع في القراءة وتمتد من الصف الثاني إلى الصف السادس .

ـ مرحلة توسيع الخبرات وزيادة القدرات والكفايات وتمتد حتى نهاية الصف التاسع.

ـ مرحلة تهذيب العادات والأذواق والميول في المرحلة الثانوية.

بيد أنه لا توجد حواجز بين مرحلة وأخرى، إذ يمكن

للمعلم أن يبدأ بتعليم القراءة للطفل وهو في الروضة إذا كانت قدراته تسمح بذلك، وكان الدافع متوفراً لديه، ولكن الخطورة تحدث إذا أكره على تعلم القراءة وهو غير مستعد لها.

ومن هنا نظر إلى هذه المراحل في الأعم الأغلب على أنها ليست مراحل جامدة.

هـ ـ عدم الانطلاق من لغة المتعلمين، وهذا يتنافى مع المبدأ التربوي في الانتقال من السهل إلى الصعب، إذ إن الانطلاق من لغة المتعلمين وخبراتهم بعد إسباغ الفصحى على لغة المتعلمين يساعد كثيرا على اكتساب اللغة ولا يحس المتعلمون بالصعوبة في الانتقال من العامية إلى الفصيحة

و ـ الإخفاق في غرس الشغف بالقراءة ومحبتها في نفوس المتعلمين، ومرد هذا الإخفاق إلى عدة أسباب منها ما يتعلق بالمادة المقروءة، ومنها ما يتعلق بطريقة التدريس، ومنها بعدم توافر القدوة الحسنة من المعلمين والأهل.

ز ـ الإخفاق في اكتساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي والاعتماد على أنفسهم في مواصلة التعلم، والإحساس بالمتعة في الحصول على المعلومة.

ح ـ الفقر في استخدام التقنيات الحديثة والوسائل

المعينة على الرغم من أهميتها في تقريب المفاهيم، وتأمين الحيوية والنشاط في أجواء العملية التعليمية التعلمية.

ط ـ قلة المناشط اللغوية التي يمارسها المتعلمون إن في داخل الصفوف أو في داخل المدرسة من كتابة اللافتات والإعلانات والكتابة في الصحف المدرسية والمجلات والانتساب إلى فرقة التمثيل وممارسة النشاط في الإذاعة المدرسية والمنتديات الأدبية والمناظرات . . . .إلخ. أو في خارج المدرسة.

ي ـ الاقتصار في الأعم الأغلب في تقويم التحصيل اللغوي على المستوى الأول من مستويات المعرفة متمثلاً في الحفظ والتذكر، وإغفال في الغالب بقية المستويات المتمثلة في الفهم والربط والتحليل والتركيب والنقد والتفاعل والتوظيف.

ك ـ الإخفاق في تكوين وحدة اللغة في أثناء تعليم المهارات اللغوية، إذ إن القواعد النحوية ليست هدفاً في حد ذاتها وإنما هي وسيلة لتقويم القلم واللسان من الاعوجاج والزلل، وقواعد الإملاء هي وسيلة لتقويم القلم من الخطأ في الكتابة، والقراءة والنصوص وسيلة لتزويد المتعلم بالثروة اللفظية والقوالب اللغوية والمعاني والصور والأخيلة

ليستخدمها في تعبيره الشفهي والتحريري. وعندما تتحول الوسيلة إلى هدف وغاية يغيب الهدف المرجو من تعليم اللغة وتعلمها.

ل ـ غلبة العامية على اللغة المستخدمة في تعليم اللغة وتعلمها:

سبقت الإشارة إلى أن توافر القدوة الحسنة من المعلمين يساعد على تكوين المهارة اللغوية لدى المتعلمين، ومن الملاحظ أن لغة المعلمين في الأعلم الأغلب ليست باللغة المثال في صحتها وسلامتها وخلوها من الأخطاء، وكما أن المعلمين يستخدمون العامية في شرح دروسهم ولا يقتصر ذلك الاستخدام على معلمي المواد الأخرى غير العربية، وإنما جاوزه إلى معلمي اللغة أنفسهم. وهذا ما لا نلاحظه في تعليم اللغات الحية عند الأمم الأخرى، فمعلم الرياضيات تحمر وجنتاه ويتطاير الشرر من عينيه عندما يخطئ الطالب في أثناء حل المسألة الرياضية خطأً لغوياً، ويقول له: إن خطأك يا بني في لغتك أدهى وأمر من خطئك في حل المسألة الرياضية كما يشير إلى ذلك المربي Pierre Clarac في كتابه (١٠) «L,enseignement du francais»

كما أن المجلس القومي لمدرسي اللغة الإنجليزية أصدر

قراراً مفاده أن على كل من يود أن يكون معلماً أن يكون معلماً للغة الأم أولاً.

ومن الملاحظ على نطاق الساحة العربية أن المتعلمين عندما يعبرون عن رغباتهم وميولهم واهتماماتهم يستخدمون العامية في الأعم الأغلب، ولا يعمل معلموهم على تشذيب لغتهم وإسباغ ثوب الفصيحة عليها في الأعم والأغلب. ولقد أشرنا من قبل إلى أن التوجيه عامل مهم في إكساب المتعلمين المهارة اللغوية.

٢ ـ من التحديات الخارجية

أ ـ البيئة الملوثة لغوياً :

لما كان المتعلم يتفاعل مع بيئته ويكتسب الخبرات نتيجة هذا التفاعل، إذ إن الخبرة هي ثمرة التفاعل بين المرء وبيئته كانت البيئة اللغوية التي يحتك بها المتعلم ينبغي لها أن تتسم بالنقاء والصفاء حتى يكتسب المتعلم الخبرة اللغوية النقية والصحيحة والسليمة. ولهذا كان أجدادنا القدماء يرسلون صغارهم إلى نجد في وسط الجزيرة العربية حتى يستمعوا إلى اللغة النقية، ويمتصوا السلامة من هذه البيئة البعيدة عن التلوث اللغوي.أما لغة البيئة التي يتفاعل معها ناشئتنا حالياً فهي أبعد ما تكون عن السلامة والنقاء فها هي ذي العامية والكلمات الأجنبية من الخادمات والأهل

أحياناً تسود في البيت والشارع، كما أن العامية تنتشر في المسلسلات التلفازية وفي العروض المسرحية وفي اللافتات والإعلانات وفي الساحات العامة وعلى المحال التجارية إضافة إلى الكلمات الأجنبية، ونادراً ما يستمع الناشئ إلى اللغة السليمة التي تعد تعزيزاً للغة التي يكتسبها في أجواء المدرسة، إذا افترضنا أن ما يكتسبه الطفل في أجواء المدرسة سليم، وهو غير ذلك كما سبقت الإشارة.

ب ـ الجانب المظلم من العولمة:

إذا كان للعولمة جانب مضيء يتمثل في انفتاح المجتمعات على بعضها وفي التبادل الثقافي وتحول العالم إلى قرية كونية واحدة، فإن لها جانباً مظلماً يتمثل في هيمنة الأقوياء على الضعفاء هيمنة اقتصادية وسياسية وثقافية، إذ إن ثقافة الأقوياء هي التي تجتاح العالم وتؤثر في ثقافات الشعوب وذاتيتها الثقافية وفي لغاتها فتعمل على خلخلة الانتماء للغة الأم، وتصاب هذه المجتمعات أمام الثقافات القوية الغازية بالانبهار وتقويض أركان التماسك الاجتماعي، وتنمية الفردية، وضعف الولاء للمجتمع، وإضعاف الانتماء لتراث الأمة، واللغة هي مستودع ذلك التراث، إضافة إلى توسيع قاعدة الاغتراب والإحساس بعقدة التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية.

وتحاول العولمة ابتعاث كل القيم السلبية التي تفتت بنية المجتمع، ووأد كل القيم الإيجابية التي تعمل على تقدم المجتمع وارتقائه، ولما كانت اللغة الأم العربية الفصيحة توحد بين أبناء الأمة الواحدة، وفي وحدة العرب قوة لهم، كان لابد من أن تعمل على تفتيت هذا الرابط، وذلك باعتماد العامية لأنها عامل تفريق من جهة، ووصم العربية بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة من جهة أخرى، واعتماد اللغة الإنجليزية لغة تعليم في المعاهد والجامعات وحتى في مدارس التعليم الأساسي وفي مواد العلوم الإنسانية في بعض الدول من جهة ثالثة، وخلخلة الانتماء للغة و الاعتزاز بها في المنتديات والمحافل الدولية وحتى على أرض الأمة العربية، فباتت واجهات المحال التجارية واللافتات والإعلانات تكتب بالأجنبية، وباتت الأقوام الأخرى وعلى الأرض العربية تتحدث بلغاتها والإنكليزية، وغدا التدريس في بعض جامعات وطننا العربي بالإنجليزية في الوقت الذي كان فيه الأمريكان يدرسون في الجامعة الأمريكية في بيروت إبان افتتاحها باللغة العربية !

فإذا أضفنا إلى ذلك كله القصور في إنتاج برامج بالعربية مخصصة للأطفال على أن تكون بديلاً للبرامج والأفلام الأجنبية، وإذا أضفنا أيضاً سيرورة قيم الاستهلاك التي تدعو

إليها الثقافة الغازية بأساليب شائقة، وذلك على حساب قيم المجتمع وثقافته، أدركنا الحجم الكبير للتحديات التي تتعرض لها ثقافتنا القومية ولغتها العربية في العولمة.

ج ـ المعلوماتية والشابكة «الإنترنت»:

غني عن البيان أن العصر الذي نحيا تحت ظلاله إنما هو عصر العلم والتقانة «التكنولوجيا «والمعلوماتية، وفيه يجري غزو الفضاء واقتحام المحيطات واستخدام الإلكترونيات وسرعة الاتصال والانتقال، وظهور أنماط جديدة من الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية. ومفتاح الحضارة الحديثة التعدد والتنوع والمرونة والقدرة على التركيب والعقل البشري هو العنصر الحاكم في ثورة المعلوماتية والإلكترونية والإنترنت بعد أن كان البخار ورأس المال حاكمين للثورة الصناعية الأولى، وبعد أن كانت الطاقة والإدارة الحديثة حاكمين للثورة الصناعية الثانية.

ومجتمعنا العربي هو من ضمن المجتمعات الجائعة للمعلومات والبرمجة، وثمة فجوة بينه وبين المجتمعات المعرفية، ويعاني بكل وضوح الضعف في هياكله الأساسية لتقنية المعلومات. ويتجلى هذا الضعف في شبكات الاتصال

ونظم التقييس والعمالة المدربة والقواميس والموسوعات ......إلخ

ومن التحديات التي تواجهها اللغة العربية في ميدان المعلوماتية واستخدامها على الشابكة «الإنترنت» تعدد مواصفات محارفها، إذ إن اللغة العربية تأتي في المرتبة الخامسة في العالم من حيث عدد المتكلمين الأصليين بها أو الأصليين والثانويين، فهي تجيء قبل الفرنسية والألمانية واليابانية والإيطالية، ومع ذلك فقد اعتمدت مواصفات محارف هذه اللغات، وفرضت رسمياً، ولم يتحقق ذلك عربياً، وهذه الحال هي نفسها في كل المواصفات الأخرى لاستعمال اللغة العربية في جميع التطبيقات المكتوبة والمحكية (١١)

وإن تعدد المواصفات يؤدي إلى إشكالات في الشابكة «الإنترنت» وفي البحث في قواعد المعطيات وفي الإعلام، ويسبب العديد من الإشكالات في مجالات تعرف الحروف العربية، ولدى المدقق الإملائي، والمدقق الصرفي، والمدقق النحوي، وفي التحليل والتركيب، وتوليد النص الآلي، والترجمة بين اللغات، وتعرف الكلام وتركيبة، والفهم الآلي للنص .

ثالثاً ـ بعض سبل الارتقاء

ثمة سبل متعددة للارتقاء بواقع تعليم اللغة العربية

وتعلمها، ولا يمكن أن يتحقق النجاح إلا إذا نظر إليها نظرة شمولية متكاملة في ضوء منحى النظم، ذلك لأن كلاً منها يؤثر في غيره ويتأثر به ومن هذه السبل:

أ ـ تعزيز الانتماء: إن غرس الانتماء إلى الأمة ولغتها الشريفة ذات العمق الحضاري في نفوس الجيل تخليصا له من عقدة التصاغر تجاه اللغات الأجنبية وخاصة الإنكليزية لا بد من أخذه بالحسبان في مناحي الحياة كافة حفاظاً على ذاتيتنا الثقافية وعنوان شخصيتنا وهويتنا، إلا أن ذلك لا ينفي الانفتاح على الثقافات الأخرى في جو من العقلنة لأن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود كما لا يعني التنازل، بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتطور دون أن يفقد هويته الأصلية، وأن يقبل التغير دون أن يغترب فيه في تفاعل بناء بين الأصالة والمعاصرة.

ب ـ العمل الجاد على تنقية البيئة من التلوث اللغوي: إن كان ذلك في المدارس بطريق التزام الفصيحة وانتشارها على الألسنة والأقلام لدى المعلمين في مختلف تخصصاتهم ولدى المتعلمين في مختلف المناشط، وإن كان ذلك في خارج جدران المدارس في وسائل الإعلام إذاعة وتلفزة وصحافة ومجلات وإعلانات ولافتات . . . . إلخ

ومن الأهمية بمكان مراقبة اللافتات والكتابات على واجهات المحال التجارية، والحرص والدقة والسلامة في كل ما تقع عليه العين أو ما تستمع إليه الأذن. ومما يساعد على تنفيذ هذا الجانب وجود قانون لحماية اللغة العربية بغية مساءلة المتفلتين ممن فتر لديهم الانتماء، وضعف لديهم الالتزام.

ج ـ إعادة النظر في برامج إعداد المعلمين اختياراً وتأهيلاً وتدريباً

بغية جذب العناصر الكفية إلى التدريس بطريق الحوافز المادية والمعنوية. والتركيز على الإعداد الوظيفي على المستوى الجامعي للمعلمين كافة بدءاً من رياض الأطفال وانتهاء بالثانوي، بحيث لا تجور المواد التربوية والثقافية على مواد التخصص من جهة، وعلى أن يكون التركيز على الأمور الوظيفية التي يحتاج إليها الطالب المعلم في مهنته بعد التخرج،وأن تقام دورات تدريبية لمعلمي المواد كافة لتذكيرهم بأساسيات قواعد لغتهم حتى يكونوا قدوة أمام متعلميهم في استخدام اللغة السليمة، ويكونوا عوناً لمعلمي اللغة في أداء مهمتهم التعليمية.

د ـ تطوير طرائق تعليم اللغة العربية وتعلمها على أن يتم التركيز على:

ـ تمثل الأهداف المرسومة لتعليم اللغة عامة وفي كل مهارة من المهارات اللغوية خاصة .

ـ التدرج في تقديم المهارات اللغوية .

ـ العمل على تكوين المهارات اللغوية لدى المتعلمين بطريق الممارسة والتكرار، على أن تكون الممارسة مبنية على الفهم .

ـ اعتماد التعزيز الإيجابي في العملية التعليمية التعلمية .

ـ الإكثار من المناشط اللغوية التي يمارسها المتعلمون في داخل المدرسة وفي خارجها.

ـ إغناء البيئة التعليمية بالمثيرات والتقنيات والوسائل المعينة.

ـ اعتماد التعلم الذاتي مبدأ لتأمين التعلم المستمر مدى الحياة .

ـ وجوب كون المعلمين قدوة أمام المتعلمين في محبة القراءة وغرس الشغف بها في نفوسهم.

ـ استخدام اللغة البسيطة والسهلة في رياض الأطفال، وتدريب الأطفال على استخدام البنى اللغوية بصورة عفوية.

ـ الانطلاق من لغة المتعلمين وخبراتهم في العملية التعليمية التعلمية بغية ردم الهوة بين العامية والفصيحة .

ـ العمل على تحقيق التكامل بين المهارات اللغوية.

ـ تنوع الطرائق والأساليب في ضوء الأجواء والأوساط التي يتفاعل معها المعلمون على أن تحظى الطرائق التفاعلية والتنقيبية بالأهمية.

ـ تنويع أساليب التقويم على ألا تقتصر على أسئلة التعرف .

ـ بناء المناهج اللغوية على مبدأ الشيوع والتواتر والمنحى الوظيفي،والابتعاد عن المماحكات والتأويلات والاستثناءات في تعليم اللغة .

هـ ـ التركيز على البرامج التربوية اللغوية على الشابكة «الإنترنت» :

إذا كنا نشكو قلة البرامج التربوية اللغوية على الشابكة «الإنترنت «فإن ما يجيء في سلم الأولويات أن تنجز برامج على النحو الآتي :

ـ برامج تعليم اللغة العربية وتعلمها لأطفالها.

ـ برامج تعليم اللغة العربية للمهاجرين من أبنائها وأطفالها.

ـ برامج تعليم اللغة العربية لغير أبنائها من الدول الإسلامية وغيرها

- برامج التعلم الذاتي.
- برامج تأهيل المعلمين وتدريبهم .
- برامج تركز على أساسيات قواعد اللغة مصطلحاً وتطبيقاً.
- الترجمة الآلية.

و - استثمار الحواسيب في المشروعات الآتية:

- مشروع الذخيرة اللغوية .
- مشروع المعجم التاريخي .
- مشروع معجم التعابير الاصطلاحية.
- مشروع معجم المفاهيم .
- مشروع معجم البنى اللغوية .



الحواشي

١ ـ الدكتور نبيل علي ونادية حجازي، ، الفجوة الرقمية/ ص ٣٠٦ ـ عالم المعرفة ـ الكويت ٢٠٠٥

٢ ـ الدكتور نبيل علي ـ الثقافة العربية وعصر المعلومات/ ص ٢٢٨ ـ عالم المعرفة ـ الكويت ٢٠٠١.

٣ ـ الدكتور محمود أحمد السيد ـ اللغة مركز الدراسات الإنسانية ـ مجمع اللغة العربية بدمشق المؤتمر السنوي لعام ٢٠٠٦ وعنوانه «اللغة العربية والمعلوماتية» ـ ص ٢٢

٤ ـ أبو خلدون «ساطع الحصري « ـ ما هي القومية ـ أبحاث ودراسات في ضوء الأحداث والنظريات

ـ بيروت ـ دار العلم للملايين ١٩٥٩.

٥ ـ الدكتور محمود أحمد السيد ـ في طرائق تدريس اللغة العربية ـ جامعة دمشق ٢٠٠٤ ص ٢٣٣.

٦ ـ الدكتور محمود أحمد السيد ـ في الأداء اللغوي ـ وزارة الثقافة السورية ٢٠٠٥ ص ١٥٥.

٧ ـ عثمان السعدي ـ العبرنة الشاملة والتحكم بالتكنلوجيا المعاصرة في الكيان الإسرائيلي ـ جامعة الكويت ـ كلية التربية ـ قسم أصول التربية ص ٥.

٨ ـ مولود قاسم نايت بلقاسم ـ إنية وأصالة ـ وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية ـ مطبعة البعث ـ فسنطينة ١٩٧٥ ص٧٦.

٩ ـ المرجع الخامس ص ٤.

10- Pierre Clarac - L: enseignement du francais 1968 Presses universitaires de France - paris

١١ ـ الدكتور محمد مراياتي ـ قضايا راهنة حول اللغة العربية والشابكة ـ مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٠٠٦ ص ٢٠.



الفصل الثالث
اللغة العربية وتحديات العصر*

* بحث ألقي في العيد الماسي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة أذار مارس ٢٠٠٧.

الفصل الثالث
اللغة العربية وتحديات العصر

في البداية لا بد لي من أن أقدم شكراً وتهنئة ومعذرة .

ـ أن أقدم شكراً لسيادة رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة على دعوته الكريمة لحضور الاحتفال بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية وأعمال الدورة لثالثة والسبعين لأعمال المجمع.

ـ وأن أقدم تهنئة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة بمناسبة الاحتفال بالعيد الماسي متمنياً لهذا لمجمع الموقر استمرارية النجاح والألق في تنفيذ المهام الموكولة إليه.

ـ وأقدم معذرة لأنني لن أتقيد بما ورد في البحث، فقد أختصر،وقد أضيف في ضوء ما يتطلبه المقام من إضافة أو حذف.

سيداتي سادتي:

إذا كان البحتري قد قال في حبيبته علوة الحلبية:

ولو عرف الناس التلاقي وحسنه   لحُبِّبَ من أجل التلاقي التفرُّقُ

فإنني أردد هذا البيت أمام حبيبتنا الغالية اللغة العربية الفصيحة. وقد تتساءلون: لم هذا الحب؟ وهذا التعلق؟ وهذا الهُيام؟

وأجيب:

إني أحبك كي أبقى على صلة   بالله، بالأرض، بالتاريخ، بالزمن

أنت البلاد التي تعطي هُويتها   من لا يحبك يبقى دونما وطنِ

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف بعضاً من تحديات العصر الذي نحيا تحت ظلاله، وانعكاسات هذه التحديات على لغتنا العربية، لنقف أخيراً على سبل مواجهة هذه التحديات.

أولاً ـ سمات العصر وتحدياته

إن العصر الذي نحيا تحت ظلاله يتسم بسمات متعددة منها أنه عصر العولمة وهيمنة الأقوياء على الضعفاء، وهو عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، وعصر التغيرات السريعة، وهو عصر الوظيفية والنفعية والاجتياح المادي وانحسار القيم المعنوية، والتفكير المنظومي الشامل . . .إلخ. وسنحاول فيما يأتي تبيان هذه السمات وتحدياتها على واقعنا اللغوي.

١ ـ عصر العلم والتقانة والمعلوماتية: يجري في عصرنا

الحالي غزو الفضاء واقتحام المحيطات وسبر أغوارها، واستخدام الإلكترونيات وسرعة الاتصال والانتقال، وظهور أنماط جديدة من الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية.ومفتاح الحضارة الحديثة في عصر المعلوماتية التعدد والتنوع والمرونة والقدرة على التركيب، والعقل البشري هو العنصر الحاكم في ثورة الإلكترون والمعلوماتية والإنترنت بعد أن كان البخار ورأس المال حاكمين للثورة الصناعية الأولى،وبعد أن كانت الطاقة والإدارة الحديثة حاكمين للثورة الصناعية الثانية .

وعلى الرغم من أن عدد الناطقين بالعربية يقدر بحوالي / ٣٠٠/ مليون نسمة (ما يعادل ٤،٧٪ من سكان العالم) إلا أن نسبة مستخدمي الشابكة «الإنترنت» من العرب لا تزيد على ١،٤٪. ومعظم هؤلاء المستخدمين العرب للشابكة يتعاملون مع مواقع غير عربية وخاصة إنجليزية وفرنسية [١].

وتجدر الإشارة إلى أن ضعف النفاذ إلى الشابكة «الإنترنت«في مؤسسات القطاعين العام والخاص ولدى الأفراد قد تسبب في التأخر لدخول عصر المعلومات. يضاف إلى ذلك المشكلات الاجتماعية مثل الفقر والأمية وتدني مستوى التعليم وضمور الثقافية العلمية والتقانية «التكنولوجية»، وعدم وجود حماية فكرية للنشر الإلكتروني والتجارة الإلكترونية.

ولا تستخدم اللغة العربية في البرمجيات المطورة محلياً بسبب ضعف الطلب عليها، وتعاني صناعة البرمجيات العربية من نقص مقوّمات الاستمرار بسبب الاعتماد عموماً على الحلول لجاهزة، ولا تتجاوز نسبة مواقع «الويب«العربية ١٪من المواقع العالمية، ويعود ذلك إلى عدم إمكان تطوير البرمجيات بأدوات تدعم اللغة العربية، وإلى نقص الأطر البشرية المؤهلة القادرة على التعامل مع اللغة الإنجليزية والعربية. ويسمح تطوير المحتوى الرقمي العربي بالانتقال من مجتمع عربي مستهلك للتقانة الأجنبية إلى مجتمع فاعل منتج لها، ومحافظ على هويته وانتمائه[٢].

٢ ـ **عصر العولمة**: إذا كان للعولمة جانب مضيء يتمثل في انفتاح المجتمعات على بعضها، والتبادل الثقافي وتحول العالم إلى قرية كونية واحدة فإن لها جانباً مظلماً يتمثل في هيمنة الأقوياء على الضعفاء هيمنة اقتصادية وثقافية وسياسية، إذ لا مكان في هذا العلم إلا للأقوياء في معرفتهم واقتصادهم حتى بات الأغنياء يزدادون غنى في الوقت الذي أضحى فيه الفقراء يزدادون فقراً، فثقافة الأقوياء هي التي تجتاح العالم وتؤثر في ثقافات الشعوب الأخرى وفي لغاتها، وتؤثر في الذاتية الثقافية لهذه الشعوب، فتعمل على خلخلة الانتماء، وتصاب هذه المجتمعات بالانبهار أمام الثقافات القوية

الغازية، وهذا ما يساعد على تقويض أركان التماسك الاجتماعي وتنمية الفردية، وضعف الولاء للمجتمع، وإضعاف الانتماء للتراث الحضاري وتوسع قاعدة الاغتراب. وبغية استمرارية الهيمنة تحاول العولمة ابتعاث كل القيم السلبية التي تفتت بنية المجتمع، وتعمل في الوقت نفسه على وأد القيم الإيجابية التي تعمل على تقدم المجتمع، وارتقائه[٣].

ومع توسع شبكة الإنترنت ووسائل الاتصال الرقمية المختلفة أخذت العولمة أبعاداً جديدة جعلت الدول الغنية تحكم سيطرتها على الدول النامية من خلال ما بات يعرف بالاقتصاد المبني على المعرفة، إذ أصبحت المعرفة هي الثروة الحقيقية، ولم تعد الثروات المادية الطبيعية فقط هي معيار الغنى والتقدم.

وبات الاختلاف في ظلال العولمة كبيراً بين الدول التي تستطيع تقديم التقانات وتلك التي لا تستطيعه،. وبين الشركات والمستهلكين القادرين على التمتع بمزايا عصر المعلومات، وهؤلاء الأشخاص الذين ينتظرون استخدامها،وتمثل الفرق أيضاً بين الأشخاص الأغنياء الذين يملكون المعلومات وغيرهم من الفقراء غير الناطقين بالإنجليزية والذين لا يستطيعون النفاذ إلى تلك المعلومات.وتجدر الإشارة إلى أن ٨٠٪ من صفحات الموقع المتوفرة على شبكة «الويب web»

مكتوبة باللغة الإنجليزية، وهذا مؤشر من شأنه أن يعيق نفاد غير الناطقين بالإنجليزية إليها[٤].

٣ ـ عصر التغيرات السريعة: من سمات هذا العصر سرعة التغيرات المتلاحقة فيه،وهذه التغيرات شملت مختلف جوانب الحياة، وإذا كانت التغيرات من قبل تتسم بأنها بطيئة فإنها في عصرنا الحالي تتسم بالتبدل المفاجئ، والمعارف تتفجر في هذا العصر بصورة لا مثيل لها، حتى إن المعرفة تتضاعف في حدود عدة أشهر بعد أن كانت تحتاج إلى مئات السنوات من قبل حتى تتضاعف وتتفجر. «واللغة ما دامت مرافقة للأحياء الذين يتكلمونها تخضع لهذه التبدلات والتغيرات وسلامة اللغة في تطورها ومواكبتها لروح العصر، فهي كائن يخضع لناموس الارتقاء والنمو ولا بد من توالي الدثور والتوليد فيها أراد أصحابها ذلك أم لم يريدوا، وأن أي لغة في تغير مستمر في أصواتها وتراكيبها وعناصرها وصيغها ومعانيها وإن اختلفت سرعة التغير فيها من فترة زمنية إلى أخرى فهي موجودة على كل حال»[٥]

ولغتنا العربية شأنها شأن سائر اللغات كانت في حركة دائبة، إذ إنها لم تعرف الركود في مسيرتها إلا في عصر الانحدار، فاستطاعت في الجاهلية أن تعبر عن تجارب أصحابها، وعندما ظهر الإسلام بمفاهيمه الجديدة استطاعت

أن تتمثل هذه المفاهيم، وأن تعبر عنها أيما تعبير. فهي لغة أصيلة مرنة مطواعة، عبرت عن حاجات العصر الجديد واتجاهاته، فازدادت مفرداتها غنى بالوضع تارة وبالاشتقاق تارة أخرى، وتنوعت أساليبها وفق مقتضيات العصر، فظهرت مصطلحات جديدة اقتضتها طبيعة العصر في ميادين المعرفة كلها من فلسفة وطب وعلوم ورياضيات . . . . إلخ.

٤ ـ عصر الاجتياح المادي: ولقد سادت في ظلال العولمة لغة المصالح حتى بات ينطبق على عصرنا قول شاعرنا العربي:

حيَّاك من لم تكن ترجو تحيته ... لولا المصالح ما حيّاك إنسانُ

ونحسرت القيم المعنوية لصالح القيم المادية، وتجمدت العواطف، وتحجرت المشاعر.وعلى الرغم من التقدم الذي أحرزه الإنسان في اكتشاف كبد السماء وسبر أغوار المحيطات، وإيقاد ثورات التقانة البيولوجية والتقانية والمعلوماتية والسيطرة على البيئة إلا أنه لم يستطع أن يعيش على الأرض إنساناً بكل ما تحمل كلمة إنسان من معنى وقيم، فها هي ذي حقوق الإنسان تنهتك، وها هي ذي شريعة الغاب تسيطر على الصعيد العالمي، وآلاف الأطفال يموتون يومياً بسبب الجوع والمرض إضافة إلى جحافل الأميين من الصغار والكبار، وإلى جحافل العاطلين عن العمل، وإلى انتشار

أمراض الإيدز والمخدرات والعنف واستغلال الأطفال وتشيئة الإنسان وتسليعه وسيرورة قيم الاستهلاك.

إن عالماً تلك هي حاله يحتاج إلى تعزيز القيم الإنسانية فيه والعمل على سيرورتها وانتشارها ودعمها على مختلف الصعد. وتراثنا العربي غني وزاخر بهذه القيم التي تعبر عنها لغتنا العربية، فخير الناس أنفعهم للناس، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده كما جاء في الحديث الشريف .

٥ ـ **عصر النفعية والوظيفية**: وتتمثل هذه السمة في أن كل ما يتعلمه المرء ينبغي له أن يؤدي وظيفة لصاحبه في الحياة التي يتفاعل معها، ويلبي له حاجاته ومتطلباته، ومن هنا كان ثمة ربط بين الجانبين النظري والعملي وكان ثمة اهتمام بالجوانب التطبيقية والسلوكية في الحياة. وهذا المنحى شق طريقه على الصعيد العالمي، فتخلصت المناهج التربوية في الأعم الأغلب من الحشو والتكرار ومن الأمور التي لا تفيد في واقع الحياة، وأمتنا العربية كانت سباقة في تطبيق المنهج الوظيفي والنفعية الاجتماعية، ففي الدعاء «اللهم علمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني»، والعلم كما يقول ابن عبد ربه: علم حمل وعلم استعمل. ولكي يكون العلم جديراً باسمه كان لا بد أن ينتقل من مرحلة التحصيل إلى مرحلة التطبيق العملي ذلك لأن الفعل وديناميته لا العلم المجرد في ثباته وسكونه هو

حجر الزاوية في البناء الإنساني من وجهة النظر العربية. وقد انعكس هذا المنحى في اللغة العربية وطرائق بنائها، فهي تبدأ الجملة بالفعل وتعقب عليه بالفاعل. على خلاف اللغات الأوروبية التي تبدأ جملتها بالفاعل ثم تلحقه بالفعل[٦].

واهتم «ابن خلدون» بالناحية التطبيقية في اكتساب العلم، إذ ليس المهم معرفة القواعد والقوانين والمصطلحات في حد ذاتها، وإنما المهم القدرة على استخدامها والاستفادة منها عملياً، فقد فرَّق بين صناعة اللغة التي تكون قواعدها وقوانينها واصطلاحاتها وبين ملكة اللغة إذ يقول: «والشخص الذي يستوعب هذه القواعد والمصطلحات دون أن يطبقها عملياً يكون مثل الشخص الذي يتقن صناعة من الصناعات علماً، ولا يكون له دراية بهذه الصناعات عملياً»[٧].

٦ ـ **عصر التفكير المنظومي**: ويقوم التفكير المنظومي على أساس أن النظام أو المنظومة «System» يتكون من مجموعة من الأجزاء أو المكونات التي ترتبط فيما بينها ارتباطاً عضوياً وثيقاً، بحيث يؤثر كل منها في غيره ويتأثر به. وفي دراسة أي نظام لا بد من التركيز على:

أ ـ مكونات النظام.

ب ـ العلاقة الوطيدة التي تربط بين هذه المكونات .

ج ـ العوامل الخارجية التي تؤثر في هذا النظام، وترتبط بغيره من النظم الأخرى في إطار نظام أكثر شمولاً واتساعاً [٨].

وفي ضوء هذا المفهوم ينظر إلى اللغة على أنها «نظام» لا تشتمل على اللغة المنطوق بها وحدها، ولا على اللغة المكتوبة وحدها، وإنما تشمل بالإضافة إليهما الإشارات والإيماءات وأسارير الوجه التي تصاحب عادة سلوك الكلام وجميع صور التعبير.

وينظر إلى القواعد النحوية على أنها نظام فلا تقتصر على ضبط أواخر الكلمات والبنية الداخلية للكلمة وما طرأ عليها من تغيرات في أحوالها المختلفة، وإنما تجاوزت هذا المفهوم إلى التراكيب وبني الجمل الفرعية والأساسية والمعاني والأصوات، ذلك لأن تغيير الحركات الإعرابية والصيغ والأبنية يؤدي إلى تغيير في المعنى. والمعنى هو تتويج لهذه المكونات كافة.

ثانياً - اللغة العربية في ضوء تحديات العصر

إن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها الوطن العربي من جهة وسرعة التغيرات في عصر المعلوماتية والعولمة من جهة ثانية، تظهران اللغة العريبة وكأنها عاجزة عن مواكبة التطور، في الوقت الذي نرى فيه أن

المشكلة لا ترجع إلى اللغة العربية وإنما إلى الجمود الفكري لبعض المنظرين الذين يتمسكون بالشكل على حساب المضمون من جهة وإلى ضعف الانتماء القومي من جهة ثانية. واللغة هي رمز للكيان القومي وعنوان للشخصية ومعبرة عن الهوية، ولو كان هذا الانتماء متوافراً بجدارة لدفع أبناء الأمة على توليد المعرفة بلغتهم الأم وتوسيع المحتوى الرقمي كما يحدث في اللغات الأخرى.

إن الخطر المؤثر في اللغة العربية في ظلال العولمة يأتي من تهميشها تدريجياً مع الزمن لصالح الإنجليزية على أن الأخيرة هي لغة عمل وتواصل على جميع الصعد بدءاً بالنشر العلمي وتبادل الخبرات التقانية «التكنولوجية» مروراً بالتعليم العالي والتجارة والصناعة وغيرها، وصولاً إلى التعليم الأساسي، وهذا يعني ضمور اللغة العربية واستخدامها في مجالات تقليدية محددة، وقد يزداد دور اللهجات العامية في تأثيرها على الفصيحة فتغدو لغات مستقلة عن بعضها، وقد تنضم العربية إلى اللغات الأخرى المهمشة على الرغم من أنها لغة العقيدة والحضارة والعراقة والأصالة إذا لم نكن مجاهدين حقاً.

ومن الملاحظ أن الأجيال العربية الصاعدة ترى في إتقان العربية صعوبة، كما ترى أن الجهد التطويري في إدخال اللغة

العربية في نظم المعلومات غير كاف ويقتصر على الاستيعاب السطحي، إذ إن ثمة شحاً في محتواها الرقمي،وعدم توفر الأدوات المعلوماتية الملائمة للبحث والتنقيب فيها، وغير ذلك من العوائق التي تزداد يوماً بعد يوم. ونحن نرى اليوم بلداناً عربية تتوجه نحو اللغات الأجنبية في التعليم العالي وخاصة في الفروع العلمية والتقانية «التكنولوجية»، بعد أن كان من توصيات وزراء الصحة وزراء التعليم العالي في الثمانينيات أن يكون عام **٢٠٠٠** هو عام الانتهاء من التعريب في الجامعات العربية.

وما دام أرباب العولمة يرومون وأد كل القيم الإيجابية التي تعمل على تقدم مجتمعنا العربي وإيقاظ كل القيم السلبية التي تفتت بنيته، وما دامت اللغة العربية توحد بين أبناء الأمة العربية، وفي وحدة العرب قوة لهم، كانت هذه اللغة هدف سهامهم فعملوا على تفتيت هذا الرابط بطرق إحياء العامية من جهة، على أن العامية عامل تفريق، في حين أن الفصيحة عامل توحيد، فإذا العامية تسري على الألسنة والأقلام في المسلسلات التلفزيونية والقنوات الفضائية.

ومن جهة أخرى عمدوا إلى وصم لغتنا الفصيحة بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر وبأنها لغة البداوة وليست لغة العلم والتقانة، وأنه إذا أراد أبناء العروبة أن يواكبوا روح

العصر فما عليهم إلا أن يستخدموا اللغة الإنجليزية وهذا ما جنحت إليه أغلب جامعات وطننا العربي وما نراه ماثلاً على ألسنة المندوبين العرب في المحافل الدولية على الرغم من أن العربية معتمدة لغة رسمية في هذه المحافل، وهذا ما نراه ظاهراً أيضاً على واجهات المحال التجارية وفي اللافتات والإعلانات. كما نرى الأقوام الأخرى وعلى الأرض العربية تتحدث بلغتها وبالإنجليزية ولا يعملون على تعلم لغتنا ما داموا يقضون حاجاتهم ومتطلباتهم في منأى عنها، حتى بات العربي غريب اللسان على أرضه في بعض أرجاء وطننا العربي وغدا التدريس بالإنجليزية في بعض جامعات وطننا العربي في الوقت الذي كان فيه الأمريكان يدرسون باللغة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت إبان افتتاحها !.

وتجدر الإشارة إلى أن لغتنا العربية تعاني النقص في الدراسات العلمية التي تتناول تيسير تعلمها وتعليمها، كما تعاني النقص في حصر الرصيد اللغوي بالأساليب العلمية، والنقص في الكشف عن الفعالية النسبية لطرائق تعليمها وأساليب تقويم مهاراتها، والنقص في استخدام التقنيات التربوية في عمليتي تعليمها وتعلمها، والنقص في البرامج الخاصة بالأطفال والمنجزة بالعربية الميسرة والملائمة.

ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أن ثمة نفراً من اللغويين

العرب يظنون أنهم في تشددهم اللغوي فلا يقبلون إلا ما ورد في المعاجم القديمة إنما يحافظون على سلامة اللغة وتطورها، ولكن فاتهم أن يقروا بأن اللغة العربية أوسع من معاجمها، وأن سلامة اللغة لا تكون في الجمود، وإنما في الاحتفاظ بأصول اللغة وقواعدها ونظامها ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته، ورحم الله الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة إذ يقول: «والذين يريدون المحافظة على اللغة فيرفضون كل جديد مثلهم كمثل الذي يريد أن يحافظ على جمال الأزهار وطيب رائحتها بوضعها في خزائن حديدية، فتؤدي تلك المحافظة إلى ذبولها. والمحافظة الصحيحة على الكائنات الحية لا تكون إلا بتطويرها وجعلها مطابقة للبيئة التي تعيش فيها» [٩].

ثالثاً ـ من سبل مواجهة التحديات

من السبل التي علينا أن نسلكها في مجالات لغتنا العربية بغية مواجهة التحديات:

١ ـ **تعزيز الانتماء**: إن الحفاظ على الهوية والذاتية الثقافية للأمة واجب مقدس في عصر العولمة. ولغتنا هي رمز كياننا وعنوان شخصيتنا العربية وهويتنا الثقافية، إلا أن ذلك كله لا ينفي أهمية الانفتاح على الثقافات الأخرى في جو من

العقلنة، وذلك لأن الحفاظ على الهوية لا يعني الجمود بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتطور ويتغير دون أن يفقد هويته الأصلية، وأن يقبل التغيير دون أن يغترب فيه: إنه التفاعل بين الأصالة والمعاصرة، وبين الإيجابي البنّاء في تراثنا والبناء الإيجابي من الثقافات الأخرى بما يتفق ومناخنا وأرضنا في جو من الندية، وفي منأى عن الدونية والانبهار والاستلاب، مقتدين بأجدادنا إبان الألق الحضاري لأمتنا. إن غرس الاعتزاز بلغتنا العربية في نفوس الجيل تخليصاً له من عقدة التصاغر تجاه اللغات الأجنبية وثقافتها وقيمها لا بد من أخذه بالحسبان في نهضتنا،وهذا لا يعني أن نقتصر على اكتساب مهارات لغتنا فقط، وإنما لابد من اكتساب اللغات لأجنبية وإتقانها إلى جانب اللغة الأم وهذا ما ورد في تراثنا من حض على تعلم اللغات الأجنبية:

بقدر لغات المرء يكثر نفعُه وتلك له عند الشدائد أعوانُ
فبادر إلى حفظ اللغات مسارعاً فكل لسان بالحقيقة إنسانُ

٢ ـ تنشيط اللغة العربية في المعلوماتية: لما كان المحتوى العربي على الشابكة «الإنترنت» ضئيلاً،إذ لا تتجاوز مواقع «الويب» ١٪ من المواقع العالمية كما سبقت الإشارة إليه من قبل، وكان ثمة ضعف في الإلمام باللغة الإنجليزية على صعيد الوطن العربي، إذ إن ٨٠٪ من صفحات الموقع

المتوافرة على شبكة الويب مكتوبة باللغة الإنجليزية، وهذا ما يعيق نفاذ غير الناطقين بالإنجليزية إليها، كان لا بد من العمل على زيادة المحتوى العربي الرقمي على الشابكة «الإنترنت» مثل المواقع التعليمية والإعلامية والثقافية والمكتبات الإلكترونية بالعربية . . . . إلخ.

ويتطلب ذلك تطوير أدوات البحث عن المعلومات باللغة العربية «محركات البحث» ووضع ذخيرة المعرفة العربية إلكترونياً على الشابكة ودعم المصطلح العربي، ودعم مشروعات التحليل الصرفي الإعرابي والدلالي، وتعريب البرمجيات العالمية وتأكيد استخدام اللغة العربية في البرمجيات الحكومية والإدارية وإيجاد الأدوات المناسبة لتطوير المحتوى، وتشجيع البحوث المتخصصة باللغة العربية «تركيب الكلام تعرف الكتابة» أو الترجمة الآلية ومعالجة اللغة العربية الطبيعية وتطوير الأسماء العربية للنطاقات، ذلك لأن تطوير محركات البحث باللغة العربية يسمح بتسهيل الوصول إلى مصادر المعلومات، كما يتيح بناء مواقع «ويب» تفاعلية باللغة العربية إلى زيادة الاهتمام بالشابكة «الإنترنت» ورفع نسبة الانتشار وزيادة عدد المستخدمين، ويمكن بالاعتماد على العربية تطوير برمجيات الخدمة الحكومية الإلكترونية وتسهيل التواصل بين

الأفراد ولا يمكن إغفال دور اللغة العربية في منصات التعليم الإلكتروني التي تسمح للطلاب التواصل بلغتهم الأم .

ويتطلب ذلك دعم مشروعات توحيد المصطلحات العربية المعلوماتية لما لها من أثر في تسهيل تواصل الأفراد والباحثين العاملين في هذا الميدان، كما يتطلب اعتماد مؤشرات خاصة باستخدام اللغة العربية في تقانة المعلومات والاتصالات وإنشاء مرصد لمتابعتها مثل:

أ ـ عدد المصطلحات العربية الجديدة المعتمدة

ب ـ عدد الكتب العربية التقنية «ترجمة وتأليفاً»

ج ـ عدد المواقع باللغة العربية

د ـ عدد البحوث الخاصة باللغة العربية [١٠].

كما يتطلب تأهيل الأطر البشرية بالمعلوماتية إضافة إلى التأهيل اللغوي في الوقت نفسه، ذلك لأن ردم الفجوة الرقمية يتطلب:

أ ـ تطوير اللغة العربية.

ب ـ تطوير التعليم والتعلم باللغة العربية.

ج ـ بناء صناعة المحتوى الرقمي العربي.

د ـ تمكين استخدام الشابكة «الإنترنت» بالعربية.

هـ ـ الاعتماد على المشاركة المفتوحة لتطوير العربية ونشرها[(١١)].

٣ ـ دعم مسيرة التعريب: غني عن البيان أنه لا يتم فكر من غير لغة ذاتية له ولا علم دون لغة تعبير ذاتية له، ويبقى الفكر العربي ناقصاً وغريباً إذا لم يقرأ ويكتب ويفكر فيه بالعربية. ومن هنا كانت قضية التعريب تنبع من مستويات متعددة[(١٢)].

ـ فالتعريب من الجانب القومي ضرورة قومية لأن اللغة مقوم أساسي من مقومات الوحدة.

ـ والتعريب من الجانب التربوي ضرورة حياتية وعلمية لأن المرء يفهم بلغته الأم أكثر مما يفهم بأي لغة أخرى.

ـ والتعريب من زاوية الأمن الثقافي ضرورة لإيقاظ الوعي بالغزو الفكري والتبعية الأجنبية المتزايدة .

ـ والتعريب من ناحية الإبداع والابتكار ضرورة للانتقال من استهلاك الأشياء إلى صنعها ومن ثم منحها الاسم العربي.

ـ واللغة العربية أولاً وأخيراً لغة العقيدة، لغة القرآن الكريم، ولا يمكن فهم الدين فهماً صحيحاً لا لبس فيه ولا غموض من غير إتقان اللغة العربية، اللسان العربي المبين الذي

نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم صلى الله عليه وسلم آية لنبوته وتأييداً لدعوته ودستوراً لأمته.

ولغتنا العربية بما تتسم به من سمات الاشتقاق والمجاز والتعريب مهيأة لمواكبة روح العصر إذ إن ما تمتاز به من غزارة الاشتقاق وفيض التصريف في أفعالها وأسمائها جعلها تستوعب مصطلحات جديدة من غير أن تنزل عن أصولها وقواعدها ونظامها ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته.

وتنشيط الترجمة من العربية وإليها من اللغات الأخرى من الأهمية بمكان ذلك لأن ما ترجم إلى اللغة العربية نسبته ضئيلة جداً إذ إن ما ترجم من كتب منذ عهد المأمون حتى يومنا هذا لا يزيد على ١٠٠،٠٠٠ كتاب، ويقارب هذا الرقم ما تترجمه إسبانيا في عام واحد(١٣).

وعلى اتحاد مجامع اللغة العربية والجامعات العربية ومؤسسات الترجمة ومراكزها في الوطن العربي مسؤوليات جسام تجاه لغتهم الأم ونقل أمهات الكتب الأجنبية العالمية والموسوعات ودوائر المعارف إلى العربية، إذ إن من مستلزمات دعم مسيرة التعريب الانفتاح على اللغات الأخرى وامتلاك ناصيتها، لأن إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان

اللغة العربية يسهم أيما إسهام في دفع مسيرة التعريب خطوات إلى الأمام.

وتجدر الإشارة إلى أن التلكؤ في تطبيق التعريب من جهة والتسويف في هذا الإنفاذ من جهة ثانية أمر يحتاج إلى حسم وإصدار القرار السياسي اللازم، ولا مسوّغ إطلاقاً لهذا التريث وذلك التسويف!

وها هي ذي سورية العربية قد اتخذت القرار منذ عشرينيات القرن الماضي، واعتمدت اللغة العربية الفصيحة لغة التعليم ولغة الحياة حتى إن السيّد «بونور» مدير المعارف العام في المفوضية العليا في العشرينيات من القرن الماضي إبان الانتداب الفرنسي على سورية يخاطب أساتذة الجامعة السورية آنذاك قائلاً: «لقد أردتم أن تكون أداة هذا التجدد وهذه الثقافة اللغة العربية، ولستم مخطئين في اختياركم لها كونوا واثقين أنكم أحسنتم صنعاً بانتقائها، فإن من يزعمون أن اللغة العربية غير صالحة للتعبير عن مصطلحات العلم الحاضر هم عل خطأ مبين فالتاريخ يثبت أن لغة الضاد كسائر اللغات الأخرى غنية باشتقاقاتها وكافية بكثرة تراكيبها للتعبير عن الأفكار الجديدة والارتباطات الحديثة التي تربط تلك الأفكار، فإن فلاسفة العرب حينما نقلوا في القرن التاسع إلى لغتهم رسائل أرسطو طاليس تمكنوا من نقل العلوم كما في عهد ابن سينا والغزالي

وابن رشد، فما من ينكر والحالة هذه أن اللغة العربية صالحة لمماشاة اللغات الأخرى وللتعبير عن الأفكار العلمية الحديثة. اعلموا أن اندفاعكم إلى إيجاد مؤسسة علمية كبيرة عربية اللسان هو على ما رأى أكبر دليل على حذاقتكم، فظلوا أبداً محافظين على هذه الأداة البديعة التي نحن مدينون لها بكثير من الأعمال الباهرة وبعدد من الأشكال الجميلة التي تجلى بها الفكر البشري.ويتابع قائلاً: «إنني أهنئ العرب، وأتمنى ألا يضيعوا هذا الاحترام المقدس للغتهم لأن من يدافع عن لغته يدافع عن أصله وعن حقه المقبل وعن كيانه وعن لحمه ودمه، وإنكم تفهمتم هذا الأمر جيداً.

وإذا كانت سورية منذ ما يقرب من قرن قد اعتمدت لغتها القومية «العربية الفصيحة» في التعليم، فها هي ذي مخرجات التعليم في الجامعات السورية وفي الكليات العلمية من طب وهندسة وعلوم . . . . . إلخ تثبت جدارتها وتفوقها على مختلف الصعد العالمية بسبب دراستها باللغة الأم في الوقت الذي ما نزال نسمع فيه صيحات تتعالى من هنا وهناك في بعض جامعات وطننا العربي تتساءل: هل اللغة العربية صالحة لأن تدرس بها العلوم الطبية والهندسية والفيزيائية . . . .إلخ. على الرغم من أن الحقائق جلية وواضحة أمامها للعيان .

٤ ـ الحفاظ على صفاء اللغة والعمل على سيرورتها

وانتشارها : إذا كان القائد الفيتنامي «هوشة منية» يخاطب أبناء أمته قائلاً : «عليكم الحفاظ على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذار من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية» فإن أبناء الأمة العربية أجدر بني البشر في الحفاظ على صفاء لغتهم الأم، لأنها لغة القرآن الكريم والرابطة التي توحد بينهم فكراً وقيماً ومشاعر .

وسيرورة اللغة العربية في جميع مناحي الحياة واجب ديني وقومي، والحؤول دون استخدام العاميات في البرامج الثقافية كافة مطلب وطني وقومي، وتيسير استخدام اللغة العربية في عمليات التواصل اللغوي أمر على درجة كبيرة من الأهمية.

وعلى الدول العربية واجب قومي نحو أبنائها في المهاجر وأجيالها الناشئة حفاظاً على انتمائهم العربي وقيمهم العربية الأصلية وشخصيتهم الحضارية من أن تذوب في المحيط الغريب.وعلى النظم التربوية العربية أن تعمل جاهدة على غرس الشغف بالمطالعة في نفوس الناشئة منذ نعومة أظفارهم حتى يغدو الكتاب الصديق الصدوق وخير جليس .

ولا بد من تشجيع الكتابة للأطفال وتخصيص جوائز للمبدعين، والعمل على إيجاد برامج بديلة عن البرامج الأجنبية

تتسم بالطابع العربي وتزخر بالقيم العربية وبلغة شائقة وميسرة.ولا يغيبنَّ عن البال أن تعليم لغتنا يحتاج إلى وقفة مستأنية إذ لا بد من التركيز على الجوانب الوظيفية في مناهج تعليم اللغة والبعد عن المماحكات والتأويلات والشذوذات والاستثناءات وتخليص المناهج من الحشو والتكرار واستخدام التقنيات المعاصرة في العملية التعليمية التعلمية.

٥ ـ نشر روائع الثقافة العربية وقيمها الإنسانية: لما كان العصر الذي نحيا تحت ظلاله هو عصر الاجتياح المادي وانحسار القيم المعنوية كان على المعنيين في أمتنا وكلنا معنيون، أن يعرفوا العالم بتراثنا الغني الذي يمثل ماضياً حياً لأنه إنساني في أغلب مواقفه وقيمه، وهو موجه إلى الإنسانية جمعاء، وهو تراث حي لأنه ظل سارياً موصولاً من جيل إلى جيل ومتغلغلاً في النفوس، وقد أعان الأمة على الصمود، وهو قابل للتطور وصالح للبقاء يقوم على أشرف ما يتميز به الإنسان عقله وضميره، ويدعو إلى الإخاء والعدالة والمساواة في الإنسانية والمحبة والسلام.

ولما كان ثمة تعتيم على قيم حضارتنا العربية الإسلامية فإننا مطالبون في عصر التقانة والمعلوماتية بنشر ثقافتنا بمختلف الوسائل والسبل وتعريف الآخرين بها وإزالة الضباب والتعتيم عن قيمنا الأصيلة .

٦ ـ سيرورة التفكير العلمي والعناية بالبحث العلمي: إن التثقيف العلمي عملية هامة في بناء الوطن العربي بناءً سليماً كي يكون إيجابياً وفعالاً في تنمية مجتمعه وتقدمه وارتقائه. والركيزة الأساسية للتثقيف العلمي هي في تربية الجيل الصاعد وتعويده على التفكير العلمي وتزويده بمهارات التفكير الناقد الذي بوساطته يستطيع أن يميز بين الزيف والحقيقة والغث والسمين، والنافع والضار، وبالمنهج العقلاني الذي يسمح له بمعالجة شؤون حياته معالجة سليمة .

ولا بد من تعميق الفهم الشعبي للقضايا العلمية و العلمية والتقانية وتوضيح دورهما الإيجابي في التنمية، ونشر المنهج العلمي في تناول شؤونهما من خلال برامج محو الأمية في وسائل الاتصال الجماهيري والإعلام.

ويجب تحرير الفكر العربي المعاصر من إرهاب الفكر الخرافي والتزمت والتعصب وضيق الأفق والأثرة وتأصيل احترام العقل والنقد الذاتي واحترام الرأي.

والعناية بالبحث العلمي هي السبيل لمعالجة قضايانا اللغوية وغيرها معالجة موضوعية، فكفانا اعتماداً على الاجتهادات الذاتية والخبرات الشخصية في تناول قضايانا اللغوية، إذ إن السبيل إلى معالجة المشكلات اللغوية المنهج

التجريبي والبحوث الميدانية، واعتماد التفكير المنظومي في معالجة شؤون اللغة يسهم أيما إسهام في رصد العوامل المؤثرة ووضع الحلول والمقترحات بغية تجاوز المشكلات وسد الثغرات.

سنظل متفائلين بمستقبل هذه الأمة ولغتها الشريفة، إلا أن هذا التفاؤل يحتاج إلى عمل حثيث وجهود متواصلة لتجاوز العقبات، وتذليل المعوقات، ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ صدق الله العظيم



حواشي البحث

(١) الدكتور منصور فرح - الفجوة الرقمية في المجتمع العربي وأثرها على اللغة العربية - مجمع اللغة العربية بدمشق

ـ المؤتمر السنوي الخامس «اللغة العربية في عصر المعلوماتية» دمشق **٢٠٠٦** ص **٣** .

(٢) الدكتور محمد نوار العوا -**مؤشرات قياس الفجوة الرقمية في المجتمعات العربية** - مجمع اللغة العربية بدمشق.المؤتمر السنوي الخامس «اللغة العربية في عصر المعلوماتية» دمشق **٢٠٠٦** ص **٩** .

(٣) الدكتور محمود أحمد السيد -**في الأداء اللغوي** - وزارة الثقافة السورية دمشق **٢٠٠٥** ص **١٥** ٠

(٤) المرجع الثاني ص**٢**.

(٥) الدكتور محمود أحمد السيد -**في طرائق تدريس اللغة العربية** - جامعة دمشق **٢٠٠٤** ص٢٣٧.

(٦) الدكتور محمود أحمد السيد -**في قضايا التربية المعاصرة** - دار الندوة - دمشق **١٩٩٢** ص١٥.

(٧) ابن خلدون - المقدمة - ص٠

(٨) الدكتور محمود أحمد السيد -**اللغة مركز الدراسات الإنسانية** - مجمع اللغة العربية بدمشق - المؤتمر الخامس «اللغة العربية في عصر المعلوماتية» دمشق **٢٠٠٦** ص٢٠ .

(٩) الدكتور محمد كامل حسين -**اللغة العربية المعاصرة** ـ دار المعارف بمصر - القاهرة **١٩٧٦** ص٤.

(١٠) المرجع الأول ص ١٣ .

(١١) المرجع السابق ص ٨.

(١٢) الدكتور محمود أحمد السيد - في قضايا التعريب - مطبعة العجلوني - دمشق **٢٠٠٢** ص ٥.

(١٣) المرجع الأول ص ٧ .



الفصل الرابع
اللغة العربية وتحديات العصر
في التعريب*

---

* بحث ألقي في المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة لعام ٢٠٠٨ وعنوان المؤتمر «اللغة العربية وتحديات العصر».

الفصل الرابع
اللغة العربية وتحديات العصر في التعريب

غني عن البيان أن ثمة تحديات مختلفة تواجهها أمتنا في هذا العصر، عصر العولمة وهيمنة الأقوياء على الضعفاء واستخدام حق القوة، لا قوة الحق في معالجة قضايا الشعوب، وعصر العلم والتقانة «التكنولوجيا» والمعلوماتية، وعصر الاتصالات السريعة والتفجر المعرفي والانتشار الثقافي الخاطف، وعصر الاجتياح المادي وانحسار القيم المعنوية، وعصر القطبية الثقافية الواحدة ذات اللغة الواحدة، ومحاربة التنوع الثقافي والتعدد اللغوي،وعصر التغيرات السريعة والتبدلات المفاجئة . . . . . .إلخ

وفي ظلال هذه السمات التي يتسم بها عصرنا تبرز مشكلة التعريب في أمتنا العربية على أنها إحدى المشكلات التي تتناول روح الأمة وهويتها وقلبها النابض متمثلاً في لغتها العربية.

ونحاول في هذا البحث الموجز أن نقف على تحديد

لهذه المشكلة وأبعادها، وتبيان لقضاياها، ورصد للمواقف تجاهها، وتوضيح لبعض الإجراءات العاجلة بغية تجاوز العقبات الحائلة دون تحقيق الأهداف المرجوة.

أولاً - تحديد المشكلة

قبل أن نحدد مشكلتنا لا بد أن نحدد المصطلح، فما المقصود بمصطلح «التعريب»؟

إن المقصود بهذا المصطلح هو سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي في جميع مجالات الحياة، تعليماً وإعلاماً وتواصلاً، أخذاً وعطاءً، تأثيراً وتأثراً، من رؤية متكاملة للحياة، وقدرة ذاتية على ممارستها، بما يوحد الرؤى والمشاعر العربية، ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها، مما يجعل التعريب عاملاً جوهرياً في الخروج من دائرة التخلف السياسي المتمثل في التجزئة إلى حرية الوحدة العربية في الصورة التي تؤصل دور الأمة العربية التاريخي والمصيري ويعينها على كسر طوق التخلف، والتحرر من أنواع التبعيات الاقتصادية والتقانية «التكنولوجية» والثقافية كما يعينها على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز، والإسهام في الحضارة البشرية متجاوزة عقبات التخلف بضم قدراتها البشرية والعلمية والمادية، واستنبات العلم عربياً وتوحيد استراتيجياتها تنموياً

وصنع تقانة عربية، والسبيل إلى ذلك كله هو الإنسان الذي يتلقى علوم عصره بلغته يتعلم ويعلم ويبحث بها [(١)].

وإذا ألقينا نظرة على واقع لغتنا العربية فإننا نلاحظ أن دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة، إلا أن الممارسات تدل على أن ثمة هوة بين ما تنص عليه الدساتير وما يطبق على أرض الواقع، فلقد حددت مؤتمرات التعريب وندواته التي عقدت في وطننا العربي في النصف الثاني من القرن الماضي أن تكون سنة **٢٠٠٠** سنة التعليم باللغة العربية في جميع الجامعات والمعاهد العربية، وأكد هذا التوجه مؤتمر وزراء الصحة العرب ومؤتمر وزراء التعليم العالي العرب في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وها نحن أولاء في سنة **٢٠٠٨** ما نزال نرى أن معظم الكليات العلمية في الجامعات الرسمية والخاصة تدرس باللغة الأجنبية، وانتقل ذلك إلى كليات العلوم الإنسانية،وما نزال نسمع صيحات تنطلق في بعض المؤتمرات التي عقدت في مطلع هذا العام في بعض عواصم الأمة تسأل: هل العربية قادرة على استيعاب معطيات العصر؟ وهل يتمكن الطالب الذي يدرس بلغته الأم من مواكبة التفجر المعرفي والتقدم العلمي ؟وما نزال نرى أن ثمة جنوحاً في مؤسساتنا التعليمية حتى في رياض الأطفال نحو استخدام اللغات الأجنبية على حساب لغتنا الأم.

وفي دراسة تحليلية قامت بها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في النصف الثاني من التسعينيات شملت خمسة عشر قطراً عربياً للوقوف على استخدام لغة التعليم في العملية التعليمية التعلمية تبين ما يلي:

١ ـ مرحلة التعليم الأساسي وتشمل المرحلتين الابتدائية والإعدادية: ثمة مدارس خاصة وتجريبية تعلم فيها المواد العلمية والاجتماعية باللغة الأجنبية في قطرين.

٢ ـ مرحلة التعليم الثانوي: ثمة مدارس رسمية وخاصة وتجريبية تعلم فيها المواد بلغة أجنبية في ثلاثة أقطار.

٣ ـ مرحلة التعليم العالي: تدرس العلوم الأساسية بلغة أجنبية كلياً في ست دول عربية وجزئياً في خمس دول، والعلوم الطبيعية تدرس كلياً بلغة أجنبية في سبع دول عربية وجزئياً في ثلاث دول، والعلوم الهندسية تدرس بلغة أجنبية كلياً في عشر دول عربية، وجزئياً في ثلاث دول، والعلوم الاجتماعية والإنسانية تدرس بلغة أجنبية جزئياً في سبع دول [٢] ومن ناحية أخرى نرى أن اللغة العربية الفصيحة لا تحاصر في مؤسسات التعليم العالي فحسب، وإنما تحاصر أيضاً في مواقف الحياة الأخرى، فنرى نفراً من أبناء الأمة يعتقد أن في استخدام اللغة الأجنبية أمارة على التقدم والعلم والأناقة في الوقت الذي يرى

فيه أن استخدام اللسان العربي دلالة على التخلف، وها هي ذي الأم في الطبقات الحريرية تخاطب أبناءها باللسان الأجنبي، وهاهو ذا الموظف يخاطب زبونه باللسان الأجنبي ليظهر نفوذه، وها هو ذا المثقف يطعم كلامه بالكلمات الأجنبية دلالة على ثقافته العصرية، وها هي ذي الشركات على الأرض العربية تعلن عن حاجتها إلى موظفين يتقنون اللغة الأجنبية، وها هي ذي المراسلات بين المصارف تستخدم الأجنبية، وها هي ذي الإعلانات في الطرقات وفي الساحات العامة وعلى واجهات المحال التجارية تستخدم وتحتج وتمانع إذا ما طلب إليها استبدال العربية بالأجنبية.

ونلاحظ في الوقت نفسه أن العاملين والعاملات من الجنسيات الأجنبية على الأرض العربية ليسوا في حاجة إلى أن يتعلموا العربية لأنهم يقضون حاجاتهم وينفذون متطلباتهم باستخدام الأجنبية مع أبناء العربية الذين تنازلوا عن لغتهم القومية ليتحدثوا مع هؤلاء بلسانهم أو بلسان أجنبي آخر، كما نلاحظ أن المؤتمرات العلمية التي تعقد في منطقتنا العربية يتم استخدام اللغة الأجنبية في بعضها على الرغم من أنها تعالج موضوعات عربية، ولِمَ نذهب بعيداً فها هم أولاء ممثلونا في المحافل الدولية يستخدمون الأجنبية في مداخلاتهم ومناقشاتهم وإلقاء كلماتهم على الرغم من أن لغتنا العربية معتمدة بين

اللغات العالمية في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، ونسأل: كيف نطلب من الآخرين أن يحترمونا ونحن لم نحترم أنفسنا وهويتنا ولغتنا المعبرة عن ذاتيتنا الثقافية وأصالة أمتنا؟

ولم يكن انحسار العربية لصالح الأجنبية مقتصراً على استخدام هذه الأخيرة فقط، وإنما كان ثمة انحسار آخر لها في أجهزة الإعلام التي تستخدم العامية في الأعم الأغلب في برامجها، وفي المسرحيات التي تنفذ بالعامية، وفي المسلسلات التلفزية التي تعرض بالعامية، وفي شرح الدروس في العملية التعليمية التعلمية بالعامية في أغلب الأحيان.وهذه الممارسات كلها تحدث في جومن الإهمال، وترك الأمور تتطور كما كتب لها، فليس هناك قرار تعريب جدي ولا قرار مضاد، وهذا الإهمال يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية والأميّة ذلك لأن كل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقياً مع قرار التعريب، فمضمون القرارين واحد يتمثل في سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي.

ولما كانت مشكلة التعريب ما تزال قائمة حتى الآن فهذا يدل على أن القرار الوحدوي لم يتخذ فعلاً في الكيان العربي، وثمة ظروف تحول دون اتخاذ القرارات لتحقيق الإصلاحات اللازمة، ومنها انعدام الحكم القومي وانحسار المد القومي، ولن يتم إصلاح في حال غياب سلطة لها نفوذ على الصعيد

القومي، «ولن تجرؤ السلطات الخاضعة لمنطق الإقليمية على تبني الإصلاح لأنها تعتمد الازدواجية السياسية، فهي تحافظ في دساتيرها على اعتماد العربية الفصيحة لتكسب قدراً من الشرعية أمام جماهيرها، وتفسح في المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدر من التحديث أمام الآخرين، وتترك الحرية للهجات العامية لتضمن قدراً من الاستقلال الداخلي على حدّ تعبير الباحث المغربي عبد الله العروي» (٣).

وهكذا تتجلى مشكلة التعريب في «عدم اتخاذ القرار الحاسم لاعتماد العربية وتبنيها في التدريس الجامعي، وبقاء الأمور معلقة، واستمرار التخلف والتبعية والأمية وعدم استنبات العلم عربياً، وتسيّب لغوي قومي، وشعور بالتصاغر والتكابر، التصاغر تجاه الثقافة الأجنبية، والتكابر تجاه ثقافتنا القومية وتراثها الحضاري»(٤)

ويتبدى لنا أن موضوع التعريب موضوع قديم جديد طرح في أمتنا خلال قرن كامل، وما يزال مطروحاً حتى هذه الساعة في الوقت الذي حسمته أمم أخرى عندما اعتمدت لغتها الأم في شؤون حياتها، ولم تكن للغاتها عراقة لغتنا العربية في مسيرة الحضارة البشرية فها هي ذي كوريا وفيتنام ورومانيا وبلغاريا وفنلدا واليونان . . . . . إلخ تدرس بلغاتها الوطنية، وها هي ذي إسرائيل تحيي لغتها العبرية، وهي لغة ميتة منذ

ألفي سنة، فإذا هي تعيدها إلى الحياة في جميع مجالاتها، وتبقى العربية ذات البعد الحضاري ولغة القرآن الكريم مستبعدة ومعزولة عن الاستخدام في أغلب جامعات وطننا العربي ومؤسساتها العلمية، وهذا ما يدعونا إلى السؤال: لِمَ هذا التردد والإمهال والتسويف؟ أما آن لهذا الموضوع أن يُحسم؟ وأين تكمن المشكلة؟ وما أبعادها؟

ثانياً - أبعاد المشكلة

وتتجلى هذه الأبعاد في:

١ ـ **التلكؤ في إصدار القرار السياسي**: إن التسويف لا يحسمه إلا قرار سياسي، ولنتخذ من التجربة السورية في التعريب مثالاً فقد ربطت سورية بين الإيمان بمكانة لغتها الأم وقدرتها على مواكبة روح العصر واستيعاب معطياته وتقاناته، وبين تنفيذ هذا الإيمان ممارسة وسلوكاً وأداء في الكليات الجامعية، وها هي ذي التجربة السورية في التعريب تنطق بكل حجة ساطعة على قدرة لغتنا العربية على مواكبة تقانة العصر واستيعاب معطياته على النحو الذي كانت عليه أمتنا إبان ألق حضارتنا العربية الإسلامية، إذ استطاعت أن تنقل إليها مختلف فنون المعرفة من الثقافات الأخرى، وأن تسبغ عليها طابعها

العربي، ومن ثم أبدعت وابتكرت وأعطت خلاصة تجاربها إلى العالم.

ولو غدا التعريب قضية سياسية في الدول العربية الأخرى يعتمدها أصحاب القرار السياسي انسجاماً مع تطلعات الجماهير الشعبية كما فعلت سورية لما بقي التعريب متعثراً، على أن يتحول اتخاذ القرار إلى واقع ملموس لا دعوة نظرية وحماسة في الخطب السياسية، وإنها لمفارقة عجيبة أن تبدأ سورية حركة التعريب منذ مطلع القرن الماضي، وأن تشق مسيرة التعريب طريقها عبر قرن كامل بكل نجاح واقتدار، في الوقت الذي نسمع فيه حالياً وبعد مرور قرن أصواتاً في بعض جامعات وطننا العربي تشكك في قدرة لغتنا على استيعاب علوم العصر وتقنياته، وتدعو إلى استخدام اللغات الأجنبية مكان العربية في ميادين الهندسة والطب والعلوم البحتة والتطبيقية متجاهلة أن الأمم صغيرها وكبيرها لا تتخلى عن هويتها وعنوان شخصيتها ورمز كيانها متمثلاًفي لغتها القومية، اللغة الأم التي أثبتت البحوث والدراسات أن استيعاب الدارسين بها يفوق استيعابهم في حال تعلمهم باللغات الأخرى، وهذا ما أكدته التجارب العلمية على لغتنا العربية في جامعة اليرموك والكويت وصفاقس في الجمهورية التونسية.

٢ ـ غياب التخطيط اللغوي: مع غياب السياسة اللغوية

يغيب التخطيط اللغوي الذي يوضع في ضوء تلك السياسات والاستراتيجيات، ولكم كنا نتمنى على منظمتنا العربية للتربية والثقافة والعلوم لو وضعت خطة على غرار الخطة الشاملة للثقافة العربية، وعلى غرار استراتيجية تطوير التربية العربية واستراتيجية تعليم الكبار ومحو الأمية، واستراتيجية العلوم والتقانة، أو أن يقوم بوضعها اتحاد المجامع اللغوية العربية. وكما كانت سورية سباقة في موضوع التعريب، فقد كانت سباقة أيضاً في وضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية بناء على القرار الجمهوري رقم ٤ تاريخ ٢٦/ ١/ ٢٠٠٧م وكان لي شرف رئاسة اللجنة التي قامت بوضع خطة العمل الوطنية للتمكين.

٣ ـ **التأخر في وضع المصطلحات**: ثمة تدفق كبير في مصطلحات عالم التقانة والمعلوماتية، وتفجر معرفي متسارع لم تتمكن منظماتنا ومجامعنا اللغوية واتحاداتنا المتخصصة من مواكبته، الأمر الذي أدى إلى شيوع المصطلح الأجنبي حتى إذا ما وضع البديل العربي عنه كان ثمة عزوف عنه واستمرار في استخدام المصطلح الأجنبي. وهذا يلقي بالمسؤولية على عاتق الوزارات المعنية في الدول العربية وعلى الشركات والجهات المستوردة التي تسمح بدخول السلع والأجهزة والبرمجيات ونحوها قبل عرض الموضوع على مجامع اللغة

على نحو ما تقوم به بعض الدول التي تحترم لغاتها وتحافظ على نقائها كفرنسا. كما يلقي بالمسؤولية أيضاً على عاتق مجامعنا اللغوية التي تتأخر في وضع المصطلحات العربية البديلة، ولا بد من الإشارة إلى أن العبرة ليست في وضع المصطلح وتوليده ووضعه في معاجم متخصصة، وإنما العبرة في الاستخدام في مناحي الحياة ومراحل التعليم ومراكز البحوث والجامعات ليستخدمه الناس جميعاً ويغدو مألوفاً في الاستخدام.

٤ ـ تشتت الجهود وعدم التنسيق بين العاملين في هذا الميدان: من يلق نظرة على واقع خريطة التعريب في الوطن العربي يجد جهوداً بذلت، «بعضها فردي، وبعضها جماعي، بعضها قامت به مؤسسات خاصة، وبعضها الآخر قامت به مؤسسات قومية، منها ما قامت به مجامع لغوية، ومنها ما قامت به الجامعات. ومن هذه الجهود ما تم في الوطن العربي، وجهود قامت بها هيئات أجنبية. وإن تنوع هذه الجهود يرسم أمام المرء خريطة زاخرة الخطوط، ولكنها خطوط متداخلة ومتشابكة، تمثل تكامل الجهود وتقاطعها وتواصلها وانقطاعها، إقليميتها وقوميتها، مشكلاتها الكلية، ومشكلاتها الجزئية، اتساعها وضيقها، حذرها وتلكؤها واندفاعها حتى ليتعذر أن تهتدي إلى الوحدة بينها (٥).

تلك هي صورة لخريطة التعريب كما رسمها أستاذنا المرحوم الدكتور شكري فيصل في الثمانينيات من القرن الماضي، وهي الصورة نفسها ونحن في العقد الأول من الألفية الثالثة، لا بل زادت الصورة قتامةً: جهود مشتتة وغياب في التنسيق، ولقد قاد هذا التشتت إلى نوع من الجهالة، حتى غدا طبيعياً أن يجهل بلد ما كان يجري في البلد الآخر، وألا تعرف جامعة ما يكون قد نفذ أو ترجم في جامعة أخرى.

٥ ـ **عدم الجدية في متابعة التنفيذ**: ما أكثر الندوات والمؤتمرات التي عقدت بخصوص التعريب ! وما أكثر التوصيات التي خلصت إليها ! وما أكثر التوصيات التي تكررت بين مؤتمر وآخر وندوة وأخرى ! وما أقل ما نفذ من تلك التوصيات ! وليس ثمة من يتابع التنفيذ على أرض الواقع فلا لجان للمتابعة، ولا مسؤول يتابع، ولا إلزامية للجهات المعنية، فتوصيات المجامع اللغوية وقراراتها غير ملزم ويا للأسف !

٦ ـ **فتور الانتماء**: إن الإحساس العالي بالانتماء القومي في ظلال العولمة يجيء في مقدمة منظومة القيم، وإذا فتر هذا الانتماء وضعف يتحلل الإنسان من قيمه ويتخلى عن كثير من دعائم إنسانيته إلى جانب تخليه عن قوميته. والتحلل من الانتماء سلسلة متى بدأت تلاحقت تأثيراتها ومضاعفاتها

والنتيجة واحدة هي أن يخسر الإنسان نفسه، وتخسر الأمة هويتها [٦].

ولكم يحز في النفس ألماً أن يهجر نفر من أبناء الأمة لغتهم العربية ويتحدثوا باللغة الأجنبية في المؤتمرات الدولية على الرغم من أن لغتهم العربية معتمدة في هذه المؤتمرات، أليس في عملهم هذا استهانة بلغتهم وأمتهم وبهويتهم القومية؟ إن عمق الانتماء إلى الأمة يذلل الصعاب، ذلك أن التريث في حسم موضوع كياني لأمتنا يتعلق بهويتها وانتمائها وحضارتها وعقيدتها أمر يستلزم الإيمان والإحساس العالي بالمسؤولية والإقدام، ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه عندما أعلن ثورته فلننتظر حتى تكون لدينا أسلحة فأجابهم: «تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة، والسلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب»..

ثالثاً - التعريب قضية

إن التعريب قضية متعددة الوجوه والمستويات والأبعاد، فهو قضية قومية،وهو قضية دينية، وهو قضية مجتمعية، وهو قضية تربوية، وهو قضية أمن ثقافي، وهو أخيراً قضية إبداع وابتكار، وفيما يأتي وقفة على كل قضية من هذه القضايا الست [٧].

١ ـ التعريب قضية قومية: من الملاحظ أن الأمم التي وحدت كلمتها وبنت قوميتها، وأظهرت كيانها وشخصيتها، لجأت إلى اللغة وسيلة لذلك التوحيد وهذا البناء، فالوحدة الألمانية ومن بعدها الوحدة الإيطالية قامتا على أساس وحدة اللغة، وعلى أساسها قامت القومية البولونية والبلغارية واليونانية. . .إلخ.

وتحتل اللغة الأهمية الكبرى في نشوء الأمم، فهي أداة التفاعل بين أفراد المجتمع والرابطة التي تصهر أبناءه في بوتقة المحبة واللقاء والتفاهم، وهي مستودع تراث الأمة، ولقد عدّها «فيختة» أساس القومية إذ يقول: «إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلاً موحداً ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن كانت غير مرئية».

ومن هنا ندرك لِمَ اتخذ المستعمرون من بين أساليب محاربة الأمة العربية الإسلامية القضاء على اللغة العربية الفصيحة لأنها الرابط الذي يوحد بين أبناء الأمة العربية. ولما أخفقوا في فرض لغاتهم في أثناء احتلالهم للوطن العربي راحوا يصفون لغتنا العربية بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، وأنه إذا أراد أبناء العربية اللحاق بركب العصر فما عليهم إلا أن يتخلوا عن اللغة الفصيحة، ويعتمدوا العامية ويكتبوا بالأحرف اللاتينية، وذلك لأن العامية عامل تفريق بين أبناء

الأمة في حين أن الفصيحة عامل توحيد، وقد حمل نفر من المستشرقين لواء هذه الدعوة، كما حملها نفر من أبناء العربية في مصر ولبنان، وقد منيت دعوتهم بالإخفاق. وفي ظلال العولمة في وقتنا الحالي ما تزال المحاولات مستمرة في محاربة الفصيحة وتهميشها واستبعادها، ذلك لأن التعريب قضية قومية تجمع بين أبناء الأمة، وتوحد الفكر بينهم، وأن في عدم التعريب ذوباناً للهوية، وقطعاً للعلاقة الأفقية بين العرب وقطعاً للصلة العمودية مع تراث الأمة، وما خلفه لنا الآباء والأجداد في ميادين المعرفة.

٢ ـ التعريب قضية دينية:

ثمة ارتباط بين اللغة العربية والقرآن الكريم، إذ كان القرآن سياجاً للغتنا، حفظها من الضياع وصانها من الاضمحلال والزوال على الرغم من الكوارث والأرزاء التي اجتاحت الأمة ومن الهجمات التي ابتليت بها عبر العصور، وما الفضل في صمود اللغة أمام الهجمات الشرسة التي تعرضت لها الأمة والتحديات العنيفة التي واجهتها إلا للقرآن الكريم.وكان ممن تخوفوا من صمود اللغة العربية وقوتها لارتباطها بالقرآن الكريم «غلادستون» رئيس وزراء بريطانيا الذي قال منذ أكثر من قرن «ما دام هذا القرآن بيد العرب فلن تتمكنوا منهم»، كما أشار إلى ذلك المستشرق الألماني «بيكر»

عندما قال: «لا سبيل إلى الوصول إلى الشرق ما دام هذا القرآن موجوداً»

٣ ـ التعريب قضية تربوية:

إن من يدرس بلغته الأم يتمكن من الفهم والاستيعاب أكثر ممن يدرس بلغة غير لغته وهذا ما أكدته التجارب التربوية، إذ إن التدريس باللغة العربية يسهل عملية التحصيل العلمي مشاركة وتفاعلاً وتمثلاً وفهماً ومواظبة، فقد أدى عدم استيعاب الطلبة للمصطلحات والمفاهيم العلمية المقدمة إليهم باللغة الأجنبية إلى تسربهم من الكليات العلمية إلى كليات أخرى في جامعة الكويت بسبب معاناتهم من مشكلات لغوية لا تمكنهم من فهم المحاضرات التي تقدم إليهم باللغة الإنجليزية، إذ كانت لديهم مشكلات في الكتابة والتعبير الشفهي ويفتقرون إلى المصطلحات العلمية والقدرة على التلخيص لأنهم يفكرون بلغتهم الأم[٨].

ومن المتعارف عليه أن ثمة رابطة لا تنفصم بين الفكر واللغة، وما دام الناشئ العربي في بيئة عربية فإنه يفكر آلياً بهذه اللغة، وإنه لمن الصعوبة أن يفكر بلغته ويتحدث بغيرها، إذ إنه يضيع قسماً من جهده في النقل والترجمة بين فكره ولسانه

عندما يفكر بلغته، ثم يترجم فكره إلى لغة أخرى يريد التحدث بها فلا يجيء تعبيره سليماً عما فكر به وأراد التعبير عنه[٩].

ومن هنا كانت الدعوة إلى استخدام اللغة الأم في التدريس الجامعي أمراً يتفق وطبيعة الحياة، ولقد أبدى مدير الصحة العالمية استغرابه من تدريس الطب في الجامعات العربية باللغات الأجنبية وليس باللغة الأم وهو يرى أن التعليم بغير العربية في جامعات الوطن العربي ليس له أي مبرر ويتنافى مع قرارات منظمة الصحة العالمية الداعية إلى تعليم الطب باللغة الأم. وها هي ذي تجربة الجامعات السورية تبقى الرد العلمي الموضوعي على كل حملات التشكيك في صلاحية اللغة العربية وعدم قدرتها على الإيفاء بمتطلبات تدريس العلوم والطب بالعربية .

٤ ـ التعريب قضية مجتمعية:

لما كانت المؤسسات التعليمية ترمي إلى خدمة المجتمع ومده بالأطر المؤهلة والمدربة بغية العمل على تقدمه ونمائه، وكان التفاهم مع الجماهير الواسعة من أبناء هذا المجتمع إنما يتم باللغة الأم لا بالأجنبية، غدا التعريب قضية مجتمعية يعزز الصلة بين المؤسسات التعليمية مدارس وجامعات ومعاهد وبين مجتمعها وما تعلمه لأبنائها، وتعدهم من أجله تحقيقاً

لديمقراطية التعليم التي لا تتحقق إلا بطريق استخدام اللغة الأم، فديمقراطية التعليم وكونه باللغة الأم طرفان متلازمان لا بد أن يؤدي أحدهما بالحتمية إلى الآخر.

٥ ـ التعريب قضية أمن ثقافي:

يعد الأمن الثقافي لأي أمة من الأمم في مقدمات أولوياتها، ذلك لأن الثقافة هي الحصن الأخير للأمة، فإذا سقط هذا الحصن أصيبت الأمة بالاضمحلال والزوال والامحاء واللغة هي هوية الأمة وأمارة على شخصيتها وذاتيتها الثقافية، ولا تتجلى الذاتية الثقافية لأي أمة إلا عبر لغتها القومية لأن الذاتية الثقافية تتمثل في التراث الفكري، وفي الرؤى الحضارية للمجتمع كما يرى الدكتور محيي الدين صابر إذ يقول: على التعليم العالي أن يقوم على أنه محور أساسي لرسالته على تنمية الذاتية الثقافية للمجتمع والتي هي مناط سائر أنواع التنميات الأخرى، وسبيل الأمة في العطاء الحضاري للمجتمعات الأخرى، وأسلوب التبادل الخلاق مع الآخرين[١٠].

وتدلنا الملاحظة العابرة على أن الوطن العربي منكشف أمام الغزو الثقافي الأجنبي الذي يمضي كالسيل العارم، وإذا كانت أمتنا قد استطاعت في كثير من الفترات العصيبة التي

مرت بها عبر تاريخها أن تصمد أمام الغزوات العسكرية الأجنبية، وأن تحافظ على هويتها وكيانها في نهاية الأمر بفضل عمق جذورها الثقافية وحرصها على حمايتها، فإننا نلاحظ اليوم أن الغزوات تصيب جوهرها والقلب منها، ألا وهو وجودها الثقافي وكيانها بوصفها أمة واحدة لها دورها وإسهامها المتميز في مسيرة الحضارة الإنسانية .

على أن حال الانبهار الذي تعيش فيه أمتنا لا بل حال الاستلاب الثقافي تستلزم تعزيز عملية التعريب وحسن الاختيار من الثقافات الأخرى، إذ إن عملية الحفاظ على الهوية الثقافية لا تنفي أهمية الانفتاح على المواد الإيجابية في الحضارات إغناء للثقافة العربية في إطار من الموروث القديم، بل هو عملية تتيح للمجتمع أن يتغير ويتطور دون أن يفقد هويته الأصلية، وأن يتقبل الجديد دون أن يغترب فيه.

والتعريب من زاوية الأمن الثقافي ضرورة لإيقاف الغزو الفكري والتبعية الأجنبية المتزايدة، ويبقى الفكر العربي ناقصاً وغريباً إذا لم يقرأ أو يكتب أو يفكر فيه بالعربية ليقف على أرض صلبة في مواجهة الاستلاب والهيمنة والتبعية الأجنبية.

٦ ـ **التعريب قضية إبداع وابتكار**: إن التعريب يهدف إلى بناء شخصية إبداعية عربية تمتلك القدرة الذاتية على إنتاج العلم

وصناعة التقانة «التكنولوجيا»، وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها، ولكن المناخ العلمي الذي يستدعي عدداً من الظروف المواتية لتملك القدرة الذاتية، وهي ظروف متعددة الجوانب، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو تشريعي، وما هو تنظيمي، وما هو اجتماعي، وما هو مالي، وما هو في الأساس علمي.

وإذا كان التعريب يهدف إلى تأكيد الهوية واستنبات العلم عربيا والإسهام في مسيرة الحضارة العالمية فإن السبيل إلى ذلك هو الإنسان الذي يتلقى علوم العصر بلغته، يتعلم ويعلم ويبحث بها مع الأخذ بالحسبان أن التعريب لا يعني الانغلاق، ونحن في عصر التفاعل العالمي على مختلف المستويات وتنوع الوسائل، ذلك لأن الدعوة إلى الانغلاق منافية لجوهر الحضارة العربية الإسلامية، ولا بد من إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان العربية خدمةً للتعريب في الوقت نفسه .

رابعاً - مواقف واتجاهات

لو رحنا نرصد المواقف والاتجاهات تجاه التعريب في التعليم الجامعي فإننا نلاحظ أن ثمة ثلاثة مواقف يمثل أولها التأييد للتعريب، ويمثل ثانيها المعارضة له،وثمة موقف ثالث محايد. أما الموقف الأول فيرى مؤيدوه، كما سبقت الإشارة،

أن التعريب قضية قومية ودينية ومجتمعية وتربوية وأمن ثقافي وإبداع وابتكار، ويرون «أن تعريب التعليم العالي في جميع درجاته ومراحله وأنواعه رفد للغة العربية وحقن نسغ جديد يزيد في حيويتها وغناها، ويضمن تدفقها وثراءَها، ويحقق استيعابها لأغراض الحضارة الحديثة في ميادينها المختلفة، كما يؤدي إلى نقل العلوم الأجنبية إلى أرض الوطن العربي، ثم إلى ترسيخ التفكير العلمي في أذهان الأجيال العربية المقبلة بحيث يغدو التفكير العلمي والتعبير العربي صنوين متحدين ملتحمين حافزين على الإبداع والابتكار، هذا إلى جانب التواصل الدائم مع ما يجد من بحوث علمية على الصعيد الإنساني العالمي باللغات الأجنبية»(١١).

كما يرون أن العزوف عن التعليم العالي بالعربية تفريط في حق الشعب العربي وحؤول دون تقدمه السليم ودون انتقال العلوم إليه، ودعم للتجزئة بالإبقاء على اللهجات المحلية وتيسير للمصالح الأجنبية في التسرب إلى الوطن العربي واستغلال خيراته. وينطلق مؤيدو التعريب في رؤيتهم من أن التعريب يرمي إلى تماسك الوحدة الوطنية وتنمية الشعور القومي وتقوية الروابط الثقافية بين أبناء الأمة، وأنه ما وجدت أمة من الأمم إلا كانت لها لغتها الخاصة بها، وأن فقدانها لهذه اللغة يؤدي بها لا محالة إلى فقدان وعيها وذاتيتها

وهويتها، كما أن التعريب يحقق الجمع بين الأصالة والمعاصرة، ويربط الحاضر بالماضي، ويبعث التراث العلمي الذي بلغ مرتبة عالية في تاريخ العرب، ويعزز وشائج الربط بين الجامعة والمجتمع، ويوحد المجهود الفكري في الوطن العربي، ويساعد الدارسين على الفهم والاستيعاب، ويحقق ديمقراطية التعليم .

أما أنصار التغريب من المعارضين للتعريب فيرون أن لغة العلم في عصرنا الحالي هي اللغة لإنجليزية، وأن المراجع والمصادر العلمية هي باللغة الإنجليزية، وأن هنالك فقراً في المراجع باللغة العربية، وأن العلوم تتطور بسرعة فائقة ولا يمكن للترجمة أن تلحق بالتطور لا سيما في ميدان العلوم والتقانة «التكنولوجيا» كما أن هنالك قلة في الأساتذة المعدين للتدريس بالعربية.

بيد أن مؤيدي التعريب يرون أن هذه الحجج التي يبديها المعارضون لا تتفق والواقع، إذ إن في إتقان اللغة الأجنبية إغناء لمسيرة التعريب وإفادة من تجارب المجتمعات الأخرى، ما لم يكن ذلك الإتقان على حساب اللغة الأم، وإذا كان معارضو التعريب يرون أن في كل علم عدداً كبيراً من المصطلحات لم يترجم إلى العربية حتى الآن،فإن مؤيدي التعريب يرون أن استخدام اللغة العربية في التعليم أمر،

واستعمال المصطلحات أمر آخر، فلا ضير أن نكتب عن العلم بالعربية ونلقي المحاضرات بالعربية، ولتبق المصطلحات العلمية بأسمائها الأجنبية إلى أن تعرب، ولينطق المحاضرون بالمصطلحات الأجنبية التي لا مقابل لها ولكن ليكن شرحهم لها وحديثهم عنها باللغة العربية،وإذا كان معارضو التعريب يرون أن اللغة الإنجليزية هي لغة العلم ولا بد من تعليم الطالب بها فإن مؤيدي التعريب يرون أن اللغة الإنجليزية ليست وحدها لغة العلم، فهناك الفرنسية والروسية والألمانية واليابانية والإسبانية والصينية، وها هي ذي البلدان الأوروبية وغيرها تعلم طلبتها بلغاتها، وليس هناك شكوى من أن هؤلاء الطلاب ممنوعون من الاطلاع على المراجع، وأن نافذة العلم قد أغلقت دونهم، ويؤيد ذلك البحوث العلمية والمخترعات والمكتشفات التي ينجزها أبناء هذه المجتمعات.

أما الداعون إلى التريث في التعريب فيرون أن التعريب يستلزم مدى زمنياً، ولا يمكن أن يتم إلا بعد توفير مستلزماته، ونظراً لأن هذه المستلزمات غير متوافرة بصورة وافية كان التريث في التعريب أمراً تقتضيه الظروف الراهنة، ولذلك يقفون على الحياد بين المؤيدين والمعارضين.وهذه شريحة ينطبق عليها قول «دانتي»، «إن أشد الأماكن حرارة في جهنم محجوز للذين يقفون على الحياد في أوقات الأزمات» وأي

أزمة أفدح من طمس هوية الأمة والتعدي على ذاتيتها الثقافية ؟ وكلنا يعلم أن الحصن الثقافي هو آخر حصون الأمة على الأعداء، فإذا سقط - لا قدر الله ـ آلت شخصية الأمة إلى ذوبان وامحاء.

خامساً - إجراءات عاجلة:

انطلاقاً مما ورد في «فقة اللغة وسر العربية» «للثعالبي» «من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحب النبي العربي الكريم أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها».

واستناداً إلى إعلان مؤتمر القمة العربية في الرياض عام **٢٠٠٧** م وقد ورد فيه: «لا بد من العمل الجاد على تحصين الهوية العربية ودعم مقوماتها ومرتكزاتها، وترسيخ الانتماء إليها في قلوب الأطفال والناشئة والشباب وعقولهم باعتبار أن العروبة ليست مفهوماً عرقياً عنصرياً، بل هي هوية ثقافية موحدة، تلعب اللغة العربية دور المعبر عنها والحافظ لتراثها، يثريه التنوع والتعدد والانفتاح والتقنية المتسارعة دون الذوبان أو التفتت أو فقدان التمايز».

واستناداً إلى قرارات مؤتمر القمة العربية في دمشق لعام

٢٠٠٨ ومن هذه القرارات الموافقة على مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة، وقد جاء في حيثياته: «انطلاقاً من الإرث الثقافي لأمتنا العربية، ومتابعة لجهودنا للنهوض باللغة العربية المرتبطة بثقافتنا وتاريخنا وهويتنا.

وتأكيداً لما أعلن في قمة الرياض حول دور اللغة العربية في التعبير عن إرثنا والحفاظ عليه، ودورها في تطوير العمل العربي المشترك من خلال تعزيز حضورها في جميع المجالات.

وانطلاقاً من دور اللغة العربية في الحفاظ على هويتنا العربية، وتوحيد الأمة العربية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وتحقيق التواصل والتفاعل بين أبناء الأمة العربية باعتبارها أساس القومية العربية وعنوان الشخصية العربية وذاتيتها الثقافية ودورها في دعم التنمية المستدامة وكونها سبيل الأمة نحو التوجه إلى مجتمع المعرفة والتطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وتأكيداً لأهمية اعتماد اللغة العربية لغة رسمية من لغات الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية والإقليمية باعتباره إنجازاً هاماً وإقراراً بأهمية اللغة العربية على أنها لغة عالمية مما ساهم في الحفاظ على خصائصها وتطويرها.

وتداركاً لتأثير الضعف اللغوي على عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتأكيداً الضرورة وضع الخطط والسياسات اللغوية لتمكين اللغة العربية والحفاظ عليها من التحديات التي تواجهها في ظل العولمة، مع التأكيد على أن اكتساب لغات أجنبية أخرى يشكل إغناءً لثقافتنا ولغتنا العربية وتوظيفاً لها في مجالات التنمية الشاملة والمستدامة.

يقرر المؤتمر الموافقة على مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة وتقديم الشكر للجمهورية العربية السورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع».

وحفاظاً على لغتنا العربية والتمكين لها في شؤون حياتنا، والعناية بها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها .

واستئناساً بتجارب الأمم الأخرى في حفاظها على لغتها الأم.أرى أن من الإجراءات العاجلة التي ينبغي لنا اتخاذها بغية تجاوز العقبات الحائلة دون تحقيق الأهداف المرجوة:

١ ـ وضع سياسة لغوية واضحة على الصعيد القومي، وإصدار القرار السياسي اللازم لتطبيق هذه السياسة

مادامت دساتير دولنا العربية تنص على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية المعتمدة في هذه الدول، وبذلك يكون أي تساهل في هذا المجال إنما هو اعتداء على حقوق الشعب

العربي في سيرورة لغته الأم على جميع الصعد. وإن التسويف في تطبيق التعريب في جامعاتنا ومعاهدنا لا يحسمه إلا قرار سياسي، ولنتخذ من تجارب الأمم الأخرى معلماً نستهدي به في مسيرتنا فها هي جامعة الفيتناميين تستعمل اللغة الفيتنامية في تدريس العلوم كلها، وعندما أصدر «هوشي مينة» أمره بالفتنمة الشاملة على الرغم من أن الفرنسة للمجتمع الفيتنامي دامت أكثر من ثمانين سنة، طلب أساتذة كلية الطب في هانوى مقابلته ليخبروه بأن فتنمة الدراسات الطبية عملية مستحيلة بسبب جهل أساتذة كلية الطب وطلبتها للغة الفيتنامية، وطلبوا إليه العدول عن قراره أو إمهال تطبيق الفتنمة على كلية الطب، واستمع القائد الفيتنامي لهم ساعات، ثم حسم الموقف في نهاية المقابلة قائلاً لهم: يسمح لكم بالتدريس باللغة الفرنسية بصورة استثنائية هذه السنة فقط مع ضرورة تعلمكم وطلبتكم اللغة الفيتنامية الوطنية في خلال أشهر الدراسة التسعة على أن تجري الامتحانات وفي سائر المستويات في نهاية السنة باللغة الفيتنامية، ثم تستأنف الدراسة في السنة المقبلة باللغة الفيتنامية[١٢]. ،

والواقع أن اللغة العربية صالحة لتدريس مواد المعرفة كافة بها كما أثبتت التجربة السورية في التعليم باللغة الأم عبر قرن كامل، ولا ينكر صلاحيتها إلا بعض من أهل السياسة إذ

إن دساتير الدول العربية كلها تنص على أن لغة الدولة الرسمية إنما هي العربية، ولكن بعض المسؤولين في بعض الدول العربية يغضون الطرف عن عدم استخدام العربية في التدريس، وفسحهم في المجال للتدريس باللغة الإنجليزية واستبعاد العربية .

٢ ـ وضع خطة لغوية على الصعيد القومي ينهض بها اتحاد المجامع اللغوية العربية بالتنسيق والتعاون مع المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم على أنها إحدى الجهات المختصة في جامعة الدول العربية، على أن تستأنس بها الدول العربية في وضع خططها الوطنية، ويمكن الاستئناس في هذا المجال بخطة العمل الوطنية للتمكين للغة العربية التي وضعتها لجنة التمكين للغة العربية في سورية والتي تم فيها توزيع الأدوار على جميع الجهات المعنية في المجتمع بغية العمل على أن تقوم كل جهة بتنفيذ ما طلب إليها في هذه الخطة تنقية للبيئة اللغوية من التلوث، وحفاظاً على السلامة اللغوية.

٣ ـ وضع خريطة بحثية على المستوى القومي لمعالجة مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها بالأساليب العلمية والتجارب الميدانية، وكفانا الاعتماد على الاجتهادات الشخصية والانطباعات الذاتية في معالجة مشكلاتنا اللغوية، على أن يتم التنفيذ بإشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم وبالتنسيق مع اتحاد مجامع اللغة العربية، وعلى أن تنهض مراكز البحوث العربية وبالتعاون مع الجامعات العربية في إجراء الدراسات العلمية لمعالجة تلك المشكلات.

٤ ـ **تفعيل الجمعيات الخاصة والأهلية** التي شكلت في بعض دولنا العربية لحماية اللغة العربية ودعمها ببعض ما تحتاج إليه لتأدية رسالتها في التوعية اللغوية من جهة ثانية .

٥ ـ العمل على زيادة المحتوى الرقمي العربي على الشابكة «الإنترنت»

نظراً لتزايد أهمية اللغة في مجتمع المعرفة وفي الاقتصاد القائم على المعرفة على أن تقوم وزارات التعليم العالي والبحث العلمي بالتنسيق مع وزارات التقانة والاتصالات والجمعيات المعنية في تنفيذ هذا المسعى .

٦ ـ تعزيز دور مجامع اللغة العربية في وطننا العربي في تعريب العلوم والتقانة

ونشر إنجازاتها وتعميمها على جميع قطاعات التنمية على أن تكون قرارات المجامع ملزمة لجميع الجهات المعنية، ولن يتم هذا التوجه إلا بإعادة النظر في قوانين هذه المجامع لتغدو مساعدة على التنفيذ في نصوص موادها .

٧ ـ إيلاء الأهمية لاستعمال اللغة العربية السليمة في

الإعلام العربي وفي الإعلان: لما كان للإعلام دور هام في التوعية كان التوجه إليه ليضطلع بدوره الإيجابي في التعريب أمراً على درجة كبيرة من الأهمية، ومن يلق نظرة عابرة على واقع إعلامنا العربي يجد أنه واقع مر ويا للأسف ! إذ إن ما تبثه القنوات الفضائية العربية وما أكثر هذه القنوات ! وما تحفل به الإعلانات وما أتفه ما تتضمنه هذه الإعلانات في الأعم الأغلب ! إنما ينأى ذلك كله عن استعمال اللغة العربية السليمة في معظمه من جهة، وتهيمن عليه اللهجات العامية من جهة أخرى،ويزخر بالقيم المنافية لأصالة الأمة، إذ إنه يعمل على تسطيح الثقافة وهشاشتها من جهة ثالثة عندما يعزز قيم الاستهلاك والتفكير الخرافي، ويستشير الغرائز والشهوات، ويمجد العنف، وينظر إلى الدنيا على أنها مسألة حظوظ.ومن هنا كان على وزارات الإعلام بالتنسيق مع وزارات الثقافة والتربية والتعليم العالي وبمؤازرة الجهات المعنية الأخرى من اتحادات ونقابات وجمعيات أن تضع البرامج البديلة التي تتوافر فيها الجدية والفائدة والتشويق، وعلى أن تُبثّ هذه البرامج بلغة عربية سليمة وقريبة من روح الجماهير وتطلعاتها.

٨ ـ تفعيل الترجمة إلى اللغة العربية ومنها إلى اللغات الأخرى، لأن نسبة ما يترجم في هذا المجال ضئيلة جداً وهذا ما يدعو إلى زيادة هذه النسبة عبر دعم مراكز الترجمة

ومنظماتها على نطاق الساحة العربية، ووضع الإمكانات اللازمة من أمور مادية وتهيئة أطر بشرية قادرة وكفية للقيام بهذه المهمة خدمة لعملية التعريب، وحبّذا لو يتم دعم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على أنه الجهة المعنية على الصعيد القومي.

٩ ـ **تعزيز تحقيق التراث العلمي العربي** وكشف النقاب عن المخطوطات العلمية العربية، إن في داخل الوطن العربي أو في خارجه كالمتحف البريطاني في لندن، والمكتبة الأهلية بباريس، والإسكوريال في إسبانيا، والمكتبة السليمانية في استانبول . . . . . .إلخ. وتكليف الباحثين في الدراسات العليا في معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب بسوريا القيام بدور فعال في هذا المجال .

١٠ - وجوب التكامل والتنسيق بين الجهات العاملة في ميدان التعريب على نطاق الوطن العربي حرصاً على الجهود المبذولة وتوحيداً للرؤية الفكرية، وتجنباً لتكرار التوصيات من غير تنفيذ لها.



حواشي البحث

(١) الدكتور محي الدين صابر، قضايا الثقافة العربية المعاصرة - الدار العربية للكتاب - تونس ١٩٨٢ ص ٨٧ .

(٢) شحادة الخوري - واقع اللغة العربية عربياً ودولياً - مجلة التعريب - السنة الحادية عشرة العدد الحادي والعشرون ٢٠٠١، ص ٣١

(٣) عبد الله العروي - ثقافتنا في ضوء التاريخ - المركز الثقافي العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٨، ص٢٨.

(٤) الدكتور محمود السيد - في قضايا التعريب - دمشق ٢٠٠٢، ص ٢٢ .

(٥) الدكتور شكري فيصل - المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح العلمي والترجمة والتأليف - عرض ودراسة ١٩٨٢،ص ٥٠.

(٦) الدكتور محمود السيد - كلمات تربوية - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٥، ص ١٨٤

(٧) الدكتور محمود السيد - المرجع الرابع، ص ٥٥.

(٨) الدكتورة نجاة عبد العزيز المطوع والدكتور مصباح الحاج عيسى - أثر استخدام اللغة الإنجليزية وسيلة اتصال تعليمية على التعليم الأكاديمي لكلية العلوم بجامعة الكويت - مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت - المجلد الرابع عشر، ١٩٨٦، ص ١٥٥ .

(٩) الدكتور محمود السيد - التجربة السورية في التعليم باللغة الأم - مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية - أبو ظبي - مؤتمر اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير ٢٠٠٨، ص ١٤ .

(١٠) الدكتور محي الدين صابر - دور التعليم العالي في تنمية الذاتية الثقافة - المجلة العربية للتربية -المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - المجلد الثاني - العدد الثاني ـ ، سبتمبر ١٩٨١، ص ٥٢ .

(١١) الدكتور عبد الكرم اليافي - الندوة السنوية لتعريب التعليم العالي في الجامعات العربية لعام ١٩٩٠، ص ٢٠٧ - المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر دمشق .

(١٢) الدكتور محمود السيد المرجع الرابع، ص ٣٩ .



الفصل الخامس
النهوض باللغة العربية بين التوصيات والممارسات

قراءة في توصيات مجمع اللغة العربية بدمشق»

الفصل الخامس

محتوى الفصل

أولاً - أغراض مجمع اللغة العربية.

ثانياً ـ ندوات المجمع ومؤتمراته.

ثالثاً ـ توصيات ندوات المجمع ومؤتمراته:

١ ـ توصيات موجهة إلى الحكومات العربية.

٢ ـ توصيات موجهة إلى وزارة التربية.

٣ ـ توصيات موجهة إلى وزارة التعليم العالي.

٤ ـ توصيات إلى وزارة الإعلام .

٥ ـ توصيات موجهة إلى وزارة الاقتصاد والتجارة .

٦ ـ توصيات موجهة إلى مجمع اللغة العربية.

رابعاً ـ ملاحظات لابد منها:

١ ـ تكرار التوصيات.

٢ ـ قلة الإحاطة بما يجري على الصعيدين القومي والمحلي من مناشط لغوية .

٣ ـ التلكؤ في التنفيذ .

٤ ـ غياب لجان المتابعة.

٥ ـ جزئية النظرة في بعض التوصيات.

٦ ـ ضرورة المسؤولية الجماعية .

٧ ـ أهمية المتابعة والمساءلة.

٨ ـ رفع وتيرة الوعي اللغوي .



الفصل الخامس
النهوض باللغة العربية بين التوصيات والممارسات

«قراءة في توصيات مجمع اللغة العربية بدمشق»

طالما عقدت مؤتمرات، وأقيمت ندوات على نطاق الساحة القومية لمعالجة قضايا اللغة العربية بغية النهوض بها، وتجاوز المشكلات التي تقف حائلاً دون تحقيق الأهداف المرسومة لها مكانة وسلامة واستخداماً وسيرورة وانتشاراً.

وسأحاول في هذا البحث الموجز أن أقف على التوصيات التي نجمت عن المؤتمرات والندوات التي عقدها مجمع اللغة العربية بدمشق في السنوات العشر الماضية لبيان مآل هذه التوصيات، وتعرف عدد من الأسباب الكامنة وراء عدم تنفيذها .

أولاً - أغراض مجمع اللغة العربية

حدد قانون مجمع اللغة العربية رقم / ٣٨/ تاريخ ٦/

٦/ ٢٠٠١م أغراض مجمع اللغة العربية في المادة الثانية منه على النحو التالي:

أ - المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة المتطورة.

ب - وضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهجية محددة والسعي في توحيدها ونشرها في الوطن العربي .

ج - العناية بالدراسات العربية التي تتناول تاريخ الأمة العربية وحضارتها وصلتها بالحضارات الأخرى .

د - العناية بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقاً ونشراً.

هـ - النظر في أصول اللغة العربية وضبط أقيستها، وابتكار أساليب ميسرة لتعليم نحوها وصرفها وتوحيد طرائق إملائها وكتابتها، والسعي في كل ما من شأنه خدمة اللغة العربية وتطويرها وانتشارها .

و - السعي في الحؤول دون استفحال العامية في شتى المجالات.

ز - النظر في كل ما يرد إلى المجمع من موضوعات تتصل بأغراضه.

وحددت المادة الرابعة من القانون وسائل تحقيق أغراض المجمع على النحو التالي:

١ - وضع معجمات لغوية عصرية ومعجمات للمصطلحات العلمية ذات تعريفات محددة

٢ - إصدار الكتب والنشرات ونشر ما يراه مناسباً لأغراضه في مجلة المجمع، وما يلائم أعماله المعجمية والثقافية من نصوص ودراسات ومصطلحات .

٣ - عقد مؤتمر سنوي وندوات وإلقاء محاضرات تتصل بأغراض المجمع، والاشتراك فيما يدعى إليه المجمع من ندوات ومؤتمرات مماثلة.

٤ - توثيق الصلة باتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، والتعاون مع المجامع والهيئات اللغوية والعلمية الأخرى لخدمة أغراضه .

٥ - الاستعانة بكل ما تتيحه التقانات الحديثة من وسائل لخدمة اللغة العربية .

٦ - السعي لدى الجهات المسؤولة لاتخاذ كل ما ينبغي لتنفيذ

ما ينتهي إليه المجمع من قرارات لسلامة اللغة، وتيسير تعميمها، وتوحيد المصطلحات فيها .

٧ ـ اتخاذ ما يراه من تدابير لخدمة أغراضه.

وتجدر الإشارة إلى أن مجمع اللغة العربية بدمشق هو أقدم مجمع لغوي بين المجامع اللغوية في الوطن العربي، إذ إنه تأسس عام **١٩١٩**م وكان اسمه آنذاك (المجمع العلمي العربي) وقد أسهم أيما إسهام في تعريب دواوين الدولة بعد الخلاص من الحكم التركي والاستعمار الفرنسي من بعده، كما أسهم في وضع المصطلحات الأجنبية في العملية التعليمية إن في التعليم العام أوفي التعليم الجامعي بعد ذلك، وأصبح اسمه (مجمع اللغة العربية) عام **١٩٦٠** في عهد الوحدة بين سورية ومصر. كما أنجز المجمع خلال مسيرته العلمية معاجم تخصصية في الميادين العلمية، وحقق عدداً من المخطوطات وطبعها ونشرها، ووضع العديد من الدراسات والبحوث في ميادين المعرفة وعقد عدداً من الندوات المؤتمرات للبحث في قضايا اللغة العربية والسعي إلى تجاوز العوائق التي تحول دون انتشارها سليمة على الألسنة والأقلام .

ثانياً ـ ندوات المجمع ومؤتمراته

عقد مجمع اللغة العربية بدمشق في السنوات العشر

الماضية خمس ندوات وستة مؤتمرات، والندوات التي عقدها هي:

١ ـ ندوة (معالم الحاضر وآفاق المستقبل) **١٩٩٧** .

٢ ـ ندوة (اللغة العربية) عام **١٩٩٨**.

٣ ـ ندوة (إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده) عام **١٩٩٩** .

٤ ـ ندوة (اللغة العربية والتعليم) عام **٢٠٠٠** .

٥ ـ ندوة (المعجم العربي) عام **٢٠٠١**.

وأما المؤتمرات فهي:

١ ـ مؤتمر (تيسير تعليم النحو) عام **٢٠٠٢**.

٢ ـ مؤتمر (اللغة العربية في مواجهة المخاطر) عام **٢٠٠٣**.

٣ ـ مؤتمر (قضايا المصطلح العلمي) عام **٢٠٠٤** .

٤ ـ مؤتمر (اللغة العربية والمجتمع) عام **٢٠٠٥** .

٥ ـ مؤتمر (اللغة العربية في عصر المعلوماتية) عام **٢٠٠٦**.

٦ ـ مؤتمر «لغة الطفل والواقع المعاصر» عام **٢٠٠٧**

ثالثاً - توصيات ندوات المجمع ومؤتمراته

بلغ مجموع توصيات ندوات المجمع ومؤتمراته زهاء / **٢٥٠** / توصية. وتناولت هذه التوصيات مختلف القضايا

اللغوية، ولو رحنا نصنف هذه التوصيات في ضوء مضمونها والجهات التي ينبغي لها أن تنفذها لوجدنا أن من هذه التوصيات ما هو موجه إلى الحكومات العربية، ومنها ما هو موجه إلى وزارة التربية، ومنها ما هو موجه إلى وزارة التعليم العالي، ومنها ما هو موجه إلى وزارة الإعلام، ومنها ما هو موجه إلى مجمع اللغة العربية نفسه، ومنها ما هو موجه إلى وزارة الاقتصاد والتجارة. وفيما يلي تبيان لأهم هذه التوصيات:

١ ـ توصيات موجهة إلى الحكومات العربية:

أ ـ مطالبة الحكومات العربية بإنفاذ التعريب في الجامعات وغيرها .

ب ـ مطالبة الحكومات العربية باستخدام العربية الفصيحة في إعلامها.

ج ـ السعي إلى إنشاء مؤسسة قومية للترجمة .

د ـ السعي إلى تعميم قرارات مجمع اللغة العربية واتحاد المجامع على وزارات الدول العربية ووزارة الإعلام في كل منها.

هـ ـ إنشاء مجمع اللغة العربية في كل قطر لم ينشأ فيه هذا المجمع.

و ـ إنشاء بنك مركزي للمصطلحات ترتبط به بنوك المصطلحات العربية، مقره اتحاد المجامع اللغوية.

ز ـ إصدار تشريعات ملزمة لحماية اللغة العربية من خطر استعمال اللهجات المحلية العامية واللغات الأجنبية.

ح ـ تعميم استخدام العربية في مختلف المناشط (لغة التعليم، لغة الإدارة، القضاء، الاقتصاد، الإعلام).

ط ـ تنشيط البحث العلمي المتعلق بقضايا تدريس العربية.

ي ـ إنفاذ الخطة الشاملة للثقافة العربية والخطة القومية للترجمة والخطة القومية للتعريب.

ك ـ تعزيز استخدام العربية في المهاجر والمنظمات الدولية، ، ودعوة ممثلي الدول العربية إلى الالتزام بها في المحافل الدولية .

ل ـ تعزيز المعلوماتية في ميدان اللغة العربية.

م ـ تشجيع مراكز الترجمة والتعريب على أداء مهامها.

ن ـ إنشاء جمعيات للمترجمين.

س ـ تأليف لجان متخصصة في الوزارات والمؤسسات الحكومية لتعمل كل لجنة على جمع المصطلحات وتدقيقها ورفعها إلى مجمع اللغة العربية للنظر فيها قبل تعميمها.

ع ـ دعوة وزارات الإعلام إلى استخدام العربية السليمة في برامج الإذاعة والتلفزة والمسرح والصحف والمجلات والنشرات والمطبوعات والإعلانات التجارية وغير التجارية التي تعرض في الشوارع، أو تنشر في الصحف، أو تبث في وسائل الإعلام .

٢ ـ توصيات موجهة إلى وزارة التربية

آ ـ إعداد المدرسين على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها

ب ـ استخدام العربية المبسطة في رياض الأطفال

ج ـ تشجيع الطلاب في المراحل الثانوية والعالية على استعمال الفصيحة والتزام المدرسين كافة بها

د ـ استخدام العربية الفصيحة في المناحي التربوية والإعلامية

هـ ـ جعل مرحلة الرياض جزءاً من السلم التعليمي وتوفير مستلزمات نجاح الرياض

و ـ إعادة النظر في مناهج مرحلة التعليم الأساسي والمرحلة الثانوية

ز ـ إقامة دورات تدريبية للمعلمين

ح ـ إعادة النظر في أسلوب تدريس الأدب والنصوص في المرحلة الثانوية في ضوء التجارب والاتجاهات الحديثة

ط - الاهتمام بالمكتبات المدرسية

ي - تصميم دروس العربية بالحاسوب والشبكات في أسرع وقت ممكن

ك - إنتاج كتب إلكترونية مبسطة بالعربية

ل - إنشاء مركز تطوير المناهج في وزارة التربية

م - إجراء بحوث تجريبية وميدانية للبرامج التعليمية وقياس فاعليتها

ن - تطوير أساليب الامتحانات

س - ضبط الكتب المؤلفة بالشكل

ع - تجنب استعمال المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم

ف - الإكثار من حفظ النصوص في المدارس الأولى من التعليم من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار والخطب البليغة

ص - إخضاع المتسابقين لانتقاء المدرسين والوظائف لاختبارات لغوية

ق - التركيز على النحو الوظيفي

ر - تبسيط كتب النحو العربي باعتماد الطرائق الاستقرائية

ش ـ الحرص على السلامة اللغوية للكتب والمراسلات بين الوزارات والمؤسسات ودور النشر والطباعة الأهلية والخاصة.

٣ ـ توصيات موجهة إلى وزارة التعليم العالي:

آ ـ اختيار الطلبة الراغبين في الانتساب إلى الصحافة والمعاهد الإعلامية على أساس إتقان العربية.

ب ـ إنشاء كلية للإعلام بأقسامه المختلفة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية غايتها إعداد الأطر الإعلامية .

ج ـ إعادة النظر في التعليم العالي والجامعي من حيث سياسة القبول .

د ـ إعادة النظر في مناهج تدريس اللغة العربية وإقامة دورات تدريبية للمدرسين .

هـ ـ إقامة معسكرات إنتاجية للجامعيين خاصة بالمناشط اللغوية.

و ـ اعتماد كتاب منهجي جامعي في النحو يعمم على البلاد العربية.

٤ ـ توصيات موجهة إلى وزارة الإعلام:

آ ـ استخدام العربية المبسطة في المسلسلات والمسرحيات المذاعة والمتلفزة.

ب ـ عقد دورات تدريبية مستمرة للعاملين في الإعلام بغية تحسين أدائهم.

ج ـ رفض الإعلانات التي تسيء إلى العربية بما يشيع فيها من العامية والتسميات الأجنبية والمتضمنة أغلاطاً لغوية.

د ـ وضع ضوابط لاختيار الإعلاميين ومنها إتقان العربية .

هـ ـ وضع معاجم موسوعية للمشتغلين بالإعلام لضبط أسماء أعلام التراث العربي والأماكن والمواقع.

و ـ التركيز على الجانب التطبيقي العملي في التكوين اللغوي للإعلاميين.

ز ـ من شروط القبول للعمل في الصحف إتقان العربية.

ح ـ توفير المدققين اللغويين للصحف والمجلات ونشرات الأخبار والمسلسلات.

ط ـ إنشاء هيئة فنية لغوية مختصة باللغات الأجنبية لدراسة المصطلحات الأجنبية في الميدان الإعلامي ووضع مصطلحات مناسبة بالتعاون مع المجمع.

ي ـ إنشاء هيئة لغوية في الإعلام تصحح الأغلاط وتنبه عليها .

ك ـ إصدار دليل لتصحيح الأغلاط وتوزيعها على العاملين في وسائل الإعلام.

ل ـ تخصيص برنامج خاص للأطفال بالعربية السليمة، وتخصيص زوايا للأطفال في الإعلام المقروء تضبط بالشكل.

م ـ الرقابة اللغوية لكل ما ينشر من كتب ودوريات

٥ ـ توصيات موجهة إلى وزارة الاقتصاد والتجارة:

ـ إلزام المحال التجارية والمطاعم ودور الملاهي والمؤسسات العامة والخاصة باستعمال الألفاظ العربية في التسمية وعدم اللجوء إلى الأجنبية.

٦ ـ توصيات موجهة إلى مجمع اللغة العربية:

آ ـ تأليف مرجع ميسر لقواعد النحو والصرف والإملاء بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية

ب ـ وضع كتاب يضم مختارات من كتب التراث بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية.

ج ـ السعي إلى توحيد المصطلحات ونشرها على أوسع نطاق بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية .

د ـ إصدار معجم اشتقاقي بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية.

هـ ـ الاستفادة من الحاسوب والتقنيات في جمع الألفاظ والمصطلحات وتخزينها.

و ـ إصدار معجم تاريخي .

ز ـ تأليف كتاب مرشد يشرح المبادئ الأساسية للمنهجية الموحدة لوضع المصطلحات .

ح ـ توحيد المصطلحات العربية .

ط ـ إصدار معجم شامل للمعاني .

س ـ إصدار معجم ألفاظ الحضارة والحياة العامة ثلاثي اللغة .

ك ـ إصدار معجم مدرسي .

ل ـ إصدار معجم للأطفال.

م ـ السعي لإنجاز مشروع الذخيرة اللغوية.

ن ـ الاستفادة من الوسائل المستخدمة في التقانة والمعلوماتية لإعداد المعجمات.

س ـ تعزيز تحقيق التراث ونشره.

ع ـ إنشاء مراصد مصطلحات.

ف ـ الإفادة من التراث العلمي العربي في وضع المصطلحات.

ص ـ جمع القرارات والتوصيات والمنهجيات التي أصدرتها مجامع اللغة العربية وتوثيقها ونشرها.

ق ـ تأليف معجمات لمصطلحات ثلاثية اللغة بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية

ر ـ إصدار مجلات مجامع اللغة العربية على أقراص لتسهيل اقتنائها من المهتمين.

رابعاً ـ ملاحظات لا بد منها

من يلق نظرة متفحصة على هذه التوصيات يلاحظ ما يلي:

١ ـ تكرار عدد من التوصيات مرات ومرات من ندوة إلى أخرى، ومن مؤتمر إلى آخر، ولو كان ثمة تنفيذ للتوصية ما كررت مراراً، وإذا أردنا ترتيب أهم التوصيات المكررة تنازلياً ألفينا الجدول رقم (١).

الجدول رقم (١)

أهم التوصيات المكررة في مؤتمرات المجمع وندواته

التوصية	عدد مرات التكرار
١ ـ مطالبة الحكومات العربية بإنفاذ التعريب في الجامعات وغيرها	٦
٢ ـ استخدام العربية المبسطة في المسلسلات والمسرحيات المذاعة والمتلفزة	٦
٣ ـ إعداد المدرسين على استخدام أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها	٦
٤ ـ تعميم استخدام العربية الفصيحة في مختلف المناشط (لغة التعليم، لغة الإدارة، الاقتصاد، القضاء، الإعلام..إلخ)	٥

التوصية	
٥ ـ استخدام العربية الفصيحة في المناحي التربوية والإعلامية	٥
٦ ـ السعي إلى توحيد المصطلحات ونشرها على أوسع نطاق	٤
٧ ـ إصدار تشريعات ملزمة لحماية اللغة العربية من خطر استعمال اللهجات العامية واللغات الأجنبية	٤
٨ ـ تشجيع الطلاب في المراحل الثانوية والعالية على استعمال الفصيحة والتزام المدرسين كافة بها	٤
٩ ـ تشجيع مراكز الترجمة والتعريب على أداء مهامها	٣
١٠ ـ الإفادة من الحاسوب والتقنيات في جمع الألفاظ والمصطلحات وتخزينها	٣
١١ ـ استخدام اللغة العربية المبسطة في رياض الأطفال	٣
١٢ ـ إلزام المحال التجارية والمطاعم ودور الملاهي والمؤسسات العامة والخاصة باستعمال الألفاظ العربية في التسمية وعدم اللجوء إلى الأجنبية	٣
١٣ ـ تعزيز استخدام العربية في المهاجر والمنظمات الدولية ودعوة ممثلي الدول العربية إلى الالتزام بها في المحافل الدولية	٢
١٤ ـ تأليف كتاب مرشد يشرح المبادئ الأساسية للمنهجية الموحدة لوضع المصطلحات	٢

١٥ ـ إصدار معجم ألفاظ الحضارة والحياة العامة ٢
١٦ ـ تصميم دروس العربية بالحاسوب والشابكات في
أسرع وقت ممكن ٢
١٧ ـ ضبط الكتب المؤلفة بالشكل ٢

٢ ـ قلة الإحاطة بما يجري على الصعيدين القومي والمحلي من مناشط لغوية:

يتبدى من خلال هذه التوصيات أن نفراً ممن يصوغون التوصيات لم يطلعوا على بعض من المناشط الثقافية التي تجري على نطاق الساحة القومية من جهة وعلى الصعيد المحلي من جهة أخرى، فعلى سبيل المثال التوصية الرامية إلى إنشاء مؤسسة قومية للترجمة فات أصحابها أن هناك المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ومقره في دمشق منذ عام ١٩٩٠م، وهو مؤسسة قومية تابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إحدى المنظمات المتخصصة في جامعة الدول العربية، وكذلك الحال فيما يتعلق بالتوصية الرامية إلى إنشاء (مكنز) على نطاق الساحة القومية، ففي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم نفسها مكنز (فارابي) على نطاق الساحة القومية، وقد عمم المشرفون عليه على الدول الأعضاء في مطلع التسعينيات لمده بكل البيانات التربوية والثقافية.

أما فيما يتعلق بالمستوى المحلي فإن التوصية المطالبة بإصدار معجم مدرسي فات صائغوها أن هناك معجماً أصدرته وزارة التربية السورية منذ الثمانينيات وبذل فيه مجهود كبير حتى تم إخراجه، ولقي صدى طيباً على الصعيد التربوي، وسد مطلباً كان الميدان في أمس الحاجة إليه. وأما التوصية الرامية إلى إنشاء مركز لتطوير المناهج التربوية في وزارة التربية فإن في الوزارة مركزاً لتطوير المناهج ويؤدي عمله بصورة مرضية، كما أن وزارة التربية تقيم دورات لمدرسي اللغة العربية لتدريبهم على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها، وتعيد النظر باستمرار في المناهج التربوية لتعديلها في ضوء الملاحظات المستمدة من الميدان من جهة، والمتغيرات العالمية من جهة أخرى، وقد أنجزت كتباً إلكترونية، وصممت دروساً في مختلف المواد بالحاسوب. وفي مجال تطوير أساليب الامتحانات أدخلت الاختبارات الموضوعية في امتحانات الشهادة الثانوية منذ عام ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١.

وما دامت ثمة إجراءات قد اتخذت من قبل فليس ثمة داع لأن تذكر توصيات تتعلق بموضوعات قد تم تداركها من قبلُ إذ لابد أن يتم التركيز على الموضوعات التي لم يباشر بها بعد، ولم يتخذ أي إجراء بشأنها.

٣ ـ التلكؤ في التنفيذ: إن ثمة تلكؤاً في التنفيذ من

الجهات التي وجهت إليها التوصيات، إذ من السهولة. بمكان إنفاذ عدد من التوصيات دون أي مشقة، وأتساءل ما الذي يمنع مجمع اللغة العربية من إنفاذ التوصيات الموجهه إليه عبر المؤتمرات والندوات التي يقيمها المجمع نفسه؟ ومن هذه التوصيات:

ـ جمع القرارت والتوصيات والمنهجيات التي أصدرتها المجامع العربية وتوثيقها ونشرها.

ـ وضع كتاب يضم مختارات من كتب التراث.

ـ إصدار مجلات مجامع اللغة العربية على أقراص لتسهيل اقتنائها من المهتمين.

ـ الاستفادة من الحاسوب والتقنيات في جمع الألفاظ والمصطلحات وتخزينها.

وما الذي يمنع وزارة التربية من:

ـ ضبط الكتب بالشكل حتى لا تتكرر التوصيات بشأن هذا الضبط.

ـ تخصيص مدقق لغوي للمراسلات التي تتم بين الوزارات والمؤسسات ودور النشر والطباعة الأهلية والرسمية.

ـ التركيز على النحو الوظيفي.

ـ إخضاع المتسابقين إلى اختبارات في اللغة العربية

ـ تجنب استخدام المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم.

ـ علماً بأن إنفاذ هذه التوصيات يتم بكل سهولة ويسر ؟

ـ ولقد تصدرت توصية (مطالبة الحكومات العربية بإنفاذ التعريب في الجامعات وغيرها) قائمة التوصيات المكررة في المؤتمرات والندوات، وهذا ما يدعونا إلى التساؤل: لم هذا التردد والإمهال والتسويف في تنفيذ خطط التعريب في جامعات الوطن العربي ؟ أليس مؤسفاً ومخزياً في الوقت نفسه أن يظل هذا الموضوع مثاراً في أمتنا خلال قرن كامل في الوقت الذي حسمته أمم أخرى ليس لديها عراقة لغتنا في مسيرة الحضارة البشرية، فها هي ذي كوريا وفيتنام وبلغاريا وفنلندة واليونان تدرس بلغاتها الوطنية، وتبقى العربية ذات البعد الحضاري ولغة القرآن الكريم معزولة عن الاستخدام في أغلب جامعات الوطن العربي ومؤسساته العلمية ؟

إن التسويف في إنفاذ التعريب في جامعات الوطن العربي لا يحسمه إلا قرار سياسي، ولنتخذ من التجربة السورية في التعريب مثالاً، إذ إن حركة التعريب في سورية بدأت منذ مطلع القرن الماضي حيث شقت طريقها عبر قرن كامل في سورية بكل نجاح واقتدار في الوقت الذي نسمع فيه حالياً، وبعد

مرور قرن، أصواتاً في بعض جامعات وطننا العربي تشكك في قدرة لغتنا على استيعاب علوم العصر وتقنياته، وتدعو إلى استخدام اللغات الأجنبية مكان العربية في ميادين الهندسة والطب والعلوم البحتة والتطبيقية، متجاهلة أن الأمم كبيرها وصغيرها لا تتخلى عن هويتها وعنوان شخصيتها ورمز كيانها القومي ممثلاً في لغتها القومية، اللغة الأم التي أثبتت البحوث والدراسات أن استيعاب الدارسين بها يفوق استيعابهم حال تعلمهم باللغات الأخرى. ولقد حددت مؤتمرات التعريب وندواته قبل ربع قرن أن تكون سنة ٢٠٠٠م سنة التعليم باللغة العربية في جميع الجامعات والمعاهد، وها نحن أولاء في سنة ٢٠٠٨ ما نزال نرى أن معظم الكليات العلمية في الجامعات العربية تدرس ويا للأسف باللغات الأجنبية في منأى عن استخدام العربية. ونعود مرة أخرى إلى التساؤل: لِم هذا التلكؤ في تنفيذ سياسة التعريب في جامعات الوطن العربي في الوقت الذي نرى فيه النجاح الباهر للتعريب في الجامعات السورية منذ مطلع القرن العشرين حتى الوقت الحاضر؟

إننا نرى أن نفراً من أبناء الأمة ما يزالون يجادلون ويشككون في قدرة لغتنا العربية على مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة. وعلى الرغم من أن دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية للدولة إنما هي اللغة العربية ما يزال عدد

كبير من الدول العربية لا يتخذ القرار السياسي القاضي بتنفيذ التعريب في جامعاته على الرغم من أن التعريب قضية قومية وتربوية ومجتمعية، وهو قضية أمن ثقافي، إضافة إلى أنه قضية إبداع وابتكار.

ويرجع عدم إصدار القرار السياسي في بعض من جوانبه إلى ضعف في الإدارة وفتور في الانتماء، إذ إن الإحساس العالي بالانتماء في ظلال العولمة يجيء في مقدمة القيم،ومتى تحلل الإنسان من قيمه تخلى عن كثير من دعائم إنسانيته، والتحلل من الانتماء سلسلة متى بدأت تلاحقت تأثيراتها ومضاعفاتها والنتيجة واحدة وهي أن يخسر الإنسان نفسه، وتخسر الأمة هويتها.

وثمة شريحة على نطاق الساحة القومية تدعو إلى التريث في التعريب، فهي لا تمانع ولا توافق على الإنفاذ مباشرة، وإنما تقف على الحياد متسمة بالغي الموه بالرشاد، وهذه الشريحة ينطبق عليها قول دانتي: (إن أشد الأماكن حرارة في جهنم محجوز للذين يقفون على الحياد في أوقات الأزمات) وأي أزمة أفدح من طمس هوية الأمة والتعدي على ذاتيتها الثقافية، وكلنا يعلم أن الحصن الثقافي هو آخر حصون الأمة استعصاء على الأعداء، فإذا سقط ـ لا قدر الله ـ آلت أمور الأمة إلى ذوبان وامحاء.

إن عمق الانتماء إلى الأمة يذلل الصعاب، ذلك أن التريث في حسم موضوع كياني لأمتنا يتعلق بهويتها وانتمائها وحضارتها أمر يستلزم الإيمان والإحساس العالي بالمسؤولية والإقدام، ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه عندما أعلن ثورته:

(فلننتظر حتى تكون لنا أسلحة)

فأجابهم: (تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة، السلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب).

٤ ـ **غياب لجان المتابعة**: إن ثمة غياباً للجان المتابعة، إذ من المفروض أن تكون هناك لجنة متابعة بعد كل مؤتمر لمتابعة تنفيذ توصياته، ولا يُكتفى فقط بإرسال التوصيات إلى الجهة المعنية بتنفيذها، وأن يكون ثمة متابعة حثيثة بغية إنفاذها دون إحباط أو فتور من أعضاء اللجنة من جراء هذه المتابعة، ذلك لأن المحاولات المتعددة والإصرار المتتالي يمكن أن يؤدي ذلك كله إلى تحقيق الغاية، ألم يقل شاعرنا العربي:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وليس غياب لجنة المتابعة مقتصراً على النطاق المحلي فقط، وإنما هنالك غياب للجان المتابعة على النطاق القومي، فالاستراتيجيات والخطط التي وضعتها المنظمة العربية للتربية

والثقافة والعلوم لم يطبق معظمها على الصعيد القومي، وكم من جهود بذلت في إعداد هذه الاستراتيجيات والخطط! وكم من جهود بذلت في عقد مؤتمرات المجمع وندواته ! ولكن ذلك كله لم يؤد إلى تحقيق الأهداف المرجوة والغايات المنشودة بسبب غياب المتابعة من جهة، وعدم الإلزام من جهة أخرى.

٥ ـ **جزئية النظرة في بعض التوصيات**: ثمة توصية وردت تتضمن أن من شروط القبول في كليات الصحافة والآداب والعلوم الإنسانية إتقان أساسيات اللغة. وفي تقديري أن ذلك ينبغي أن يطبق في جميع الكليات الجامعية، وألا يقبل أي طالب في أي تخصص كان إلا إذا كان يتقن أساسيات لغته على الأقل، وهذا الإجراء يؤدي إلى العناية باللغة والاهتمام بها، وما دامت اللغة عنوان الشخصية ورمز الكيان القومي ووعاء المعرفة أيا كان ميدانها كان إتقان أساسياتها أمراً لازماً، وألا يقتصر القبول على طلبة كليات الصحافة والآداب والعلوم الإنسانية فقط وإنما يشمل جميع الطلبة. وينطبق الأمر على المتخرجين في المعاهد والجامعات، إذ من المعيب أن يتخرج حامل الإجازة الجامعية أو المعهد في أي تخصص كان وهو لا يتقن أساسيات لغته. وينبغي أن يتخذ الإجراء نفسه في التعيين في وظائف الدولة، إذ إن من شروط التعيين في المسابقات كافة إتقان أساسيات اللغة

أيضاً، يضاف إلى ذلك أن من شروط الترقية في الوظائف كافة إتقان أسياسيات اللغة، ذلك لأن التجارب علمتنا أن الاهتمام بالأمر يكون أكثر قوة إذا كان يمس الأمر مصالحنا ويتعلق بأوضاعنا الشخصية وأن التساهل في هذا الجانب يؤدي إلى اللا مبالاة وعدم الاكتراث والاهتمام.

٦ ـ **ضرورة المسؤولية الجماعية**: غني عن البيان أن الارتقاء باللغة والنهوض بمستواها مسؤولية جماعية، ولا يمكن أن يكون ذلك الارتقاء وهذا النهوض من مسؤولية جهة معينة دون غيرها، إنها مسؤولية مجتمعية، مسؤولية أبناء الأمة كافة«مسؤولية المجمع والجامعة، ومؤسسات التربية والإعلام والمنظمات الثقافية الاتحادات والنقابات، وخطباء المساجد والكنائس، مسؤولية وجهاء النخبة وبسطاء العامة، مسؤولية الناشر والشاعر والعامل والكاتب والقارئ والمدرس والطالب، ذلك لأن اللغة الأم هي التي ترعى كل ناطق بها، وكأنه طفلها الوحيد والأثير، تزهر وتنمو إن تمرد عليها شعراؤها، ولا تضيق ذرعاً بصرامة علمائها، وتغفر للعامة تجاوزها، ولا تحرم النخبة من تميزها» كما ذهب إلى ذلك الصديق الدكتور نبيل علي.

٧ ـ **أهمية المتابعة والمساءلة**: لما كان الاهتمام باللغة والعناية بها مسؤولية جماعية كان تنفيذ التوصيات مسؤولية

جماعية أيضاً انطلاقاً من الانتماء لهذه الأمة والاعتزاز بلغتها، ذلك لأن الوعي يكون دافعاً قوياً، إلا أن المتابعة مسألة ضرورية جداً لإنفاذ التوصيات، ولا تقل المساءلة أهمية عن المتابعة. ومن هنا كان من الضروري بمكان في مجال موضوعنا:

أ ـ الطلب إلى جامعة الدول العربية تعميم التوصيات المتعلقة بالحكومات العربية على الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية.

ب ـ الطلب إلى حكومات الدول الأعضاء تعميم التوصيات المتعلقة بالوزارات الحكومية على هذه الوزارات.

ج ـ تكليف جهة معينة لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات.

د ـ تحديد مدة معينة لإنفاذ التوصيات، ومن ثم تكون المساءلة.

هـ ـ تطبيق قانون حماية اللغة العربية والقرارات الصادرة في ضوئه، والعمل عل تنفيذ موادها، ومساءلة المقصرين في ضوء مضمون هذه المواد وما تنص عليه.

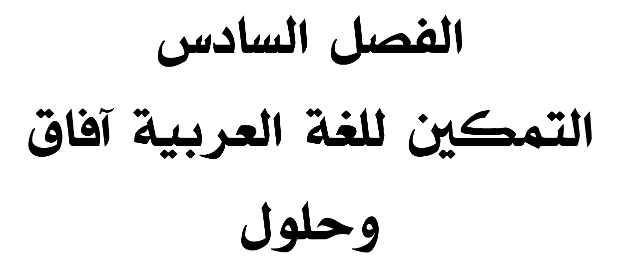
٨ ـ **رفع وتيرة الوعي اللغوي**: لما كان الوعي اللغوي عاملاً مساعداً أيما مساعدة على تجاوز العقبات، وتذليل الصعوبات، كان لابد من مساءلة من فتر لديه هذا الوعي. ومن هنا كان لا بد من وجود تشريعات قانونية لحماية اللغة العربية

من عبث المستهترين بها وتجاوزات المعتدين على حرمتها وقدسيتها، وها هي ذي الدول المتقدمة تحرص كل الحرص على الاعتزاز بلغتها القومية والحؤول دون المساس ببنيتها ونظامها ودون مزاحمة أي لغة أجنبية لها في ميادين الحياة.

ومما لا شك فيه أن تطبيق قانون حماية اللغة العربية وتطبيق مواده وتعليماته التنفيذية يضع حداً لشريحة لا مبالية هان عليها إحساسها القومي فاستهانت بلغتها القومية رمز كيانها القومي وعنوان شخصيتها العربية وموحدة فكر أبناء الأمة في بوتقة اللقاء والتفاهم والتحاب والتواد والتضامن.

بيد أن اللجوء إلى تطبيق العقوبات الرادعة لا يكون إلا بعد استنفاد كل السبل المشجعة الأخرى، وما من ريب في أن للوعي اللغوي دوراً أساسياً وهاماً في عملية النهوض اللغوي، إذ بقدر توفر هذا الوعي يكون ثمة تقدم وارتقاء ومن دونه تزداد المشكلات، ويسود التسيب، وتعم الفوضى تجاه قضايانا اللغوية.





الفصل السادس
التمكين للغة العربية آفاق وحلول

الفصل السادس
التمكين للغة العربية: آفاق وحلول*

سأحاول في هذا البحث الموجز أن أقف على مفهوم اللغة ووظيفتها وأهميتها بوجه عام، وكيف تُعنى الأمم الحية بلغاتها، ثم أبين سمات اللغة العربية ومكانتها والتحديات التي تواجهها على الصعيدين الخارجي والداخلي، وصولاً إلى التمكين لها، والحفاظ عليها، والارتقاء بها، والاهتمام بإتقانها على النحو الذي وجه إليه قائد الوطن السيد الرئيس بشار الأسد.

١ـ اللغة مفهوماً ووظيفةً وأهميةً

اللغة مفهوم منظومي يشمل الإيماءات والإشارات والأصوات والرموز المكتوبة، وجميع صور التعبير قاطبة، من رسم ونحت ورقص وموسيقا... إلخ، إلا أن اللغة المنطوق بها تحتل المرتبة الأولى بين جميع الجوانب.

---

(١) بحث ألقي في المؤتمر السوري لنقابة المعلمين ٢٠٠٨ م.

وتتمثل وظيفة اللغة في التفكير والتواصل والتعبير، أو في التعرف والنداء والتعبير، وإن كان بعض الباحثين يرى أن وظيفة التعبير ما هي إلا ضرب من التواصل، وأن الوظيفة الأساسية للغة إنما هي التواصل، ذلك لأن اللغة مؤسسة اجتماعية إنسانية.

واللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، إذ إننا لا يمكن أن نتصور لغة من غير فكر ولا فكراً من غير لغة. ويقول الدكتور طه حسين في هذا الصدد: «نحن نشعر بوجودنا وبحاجاتنا المختلفة وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء، ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا مصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها ونديرها في رؤوسنا، ونظهر منها للناس ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد. فنحن نفكر باللغة، ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة للتفكير والحس والشعور»

ويرى الفيلسوف الفرنسي «كونديلاك» أن عملية التفكير نفسها مستحيلة بغير اللغة ورموزها، ويرى أنه لا معرفة بغير تحليل، ولا تحليل بغير رموز أي بغير ألفاظ.

ولقد أشار«ماكس مورو» إلى أنه «باللغة وحدها يندمج

الفرد في المجتمع، ويتلقى تراث الأمة الفكري والشعوري والأخلاقي والاجتماعي كله، التراث المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السالفين منهم والمعاصرين».

وعدّ «فيختة» الأمة الألمانية بأنها جميع الذين يتكلمون اللغة الألمانية، ذلك لأن «الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلاً موحداً، ربطته الطبيعة بروابط متينة، وإن كانت غير مرئية»..

ويرى «هردر» الألماني أن «لغة الآباء والأجداد مخزن لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين، ولكن قلب الشعب ينبض في لغته وروحه يكمن في لغة الآباء والأجداد».

وعبّر «هيدجر» الفيلسوف الألماني أيما تعبير عن أهمية اللغة عندما قال: «إن لغتي هي مسكني، هي موطني، ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها، وبعيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح».

ويضيف «حيث توجد اللغة يوجد العالم. ولما كان التاريخ لا يصير ممكناً إلا في عالَم، اقتضى ذلك أنه حيث توجد اللغة يوجد التاريخ».

أما «ستالين»فيرى «أن اللغة هي إحدى الوقائع

الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها، فهي تبقى ببقائه وتزول بزواله، وليس ثمة إمكان وجود أي لغة في خارج نطاق المجتمع»

وفي عصرنا الحالي ازدادت أهمية اللغة، وعُني بها علماء متعددون وفي اختصاصات متعددة حتى غدت مركز الدراسات الإنسانية، إذ عني بها الـم وظائف الأعضاء، والطبيب المختص بالأعصاب وأمراض الكلام، وعالم الرياضيات، والمهندس الكهربائي، والمعلوماتي، وعالم النفس، وعالم الاجتماع، والمربي، واللغوي . . .الخ وإذا كان سقراط قد قال لجليسه «تكلم حتى أراك» فإن الشعار حالياً في عصر الشابكة «الإنترنت» تكلم حتى يراك الآخرون عن بعد، وترى نفسك وهي بعيدة عنك.

٢ ـ عناية الأمم بلغاتها

تعنى الأمم الحية بلغاتها أيما عناية، فتعمل على نشرها والاعتزاز بها والتمسك بها رمزاً لهويتها وذاتيتها، فها هي ذي **اليابان** قد استسلمت في الحرب العالمية الثانية تحت وطأة القنابل الذرية الأمريكية، ففرض الأمريكيون شروطهم المجحفة على اليابان المستسلمة، مثل تغيير الدستور وحل الجيش ونزع السلاح. . . .الخ. وقد قبلت اليابان جميع تلك

الشروط ما عدا شرطاً واحداً لم تقبل به، وهو التخلي عن لغتها القومية في التعليم، فكانت اللغة اليابانية منطلق نهضتها العلمية والصناعية الجديدة.

وفي كوريا يجري التعليم في مختلف مراحله وتنوع اختصاصاته باللغة الكورية الفصيحة، ويوجد في كوريا حالياً ما يزيد على ١١٠ قنوات تلفزية كلها خاصة إلا قناة حكومية واحدة، وجميعها تبث باللغة الكورية الفصيحة السليمة طبقاً للسياسة اللغوية للدولة وتحت مراقبتها. وجميع اللافتات وأسماء المحال بالكورية فقط، والنادر منها كلافتات السفارات والفنادق الكبرى يضيف الاسم بالحروف الأجنبية الصغيرة تحت الحروف الكورية الكبيرة.

وفي فيتنام دعا القائد الفيتنامي «هوشي مينه» أبناء أمته قائلاً:

«لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى ثقافتنا القومية ولغتنا الأم».

وأضاف (حافظوا على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم، حذار من أن تضعوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تضعوا فيه كلمة فيتنامية».

ولقد أدركت فرنسا منذ أواخر القرن الثامن عشر أهمية

اللغة القومية الفصيحة في بناء الأمة، وأنه لا حرية حقيقية من رواسب الإقطاع، ولا كيان للشخصية الفرنسية إلا بتمثل اللغة القومية. وقدم الراهب «غريغوار» إلى مجلس الثورة تقريراً عن حال اللغة الفرنسية جاء فيه: إننا نستطيع أن نؤكد دون مغالاة أن نحواً من ستة ملايين من الفرنسيين ولا سيما في الأرياف لا يعرفون لغتهم القومية، وعدداً لا يقل عن ذلك، إذا عرفوا شيئاً منها فإنهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها، والذين يحسنون التكلم بها بفصاحة لا يتجاوز عددهم ثلاثة ملايين، أما الذين لا يستطيعون كتابتها على وجه الصحة فهم أقل من ذلك بكثير. وحل المشكلة يكمن في محاربة اللهجات المحلية ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين المواطنين جميعهم.

وأصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٩٩٤م قراراً ينص على عدم السماح بعقد المؤتمرات العلمية المتحدثة بالإنجليزية على الأرض الفرنسية.ووضع البرلمان الفرنسي قائمة بالكلمات السود التي يحظر استعمالها في لغة الإعلام والإعلان، ووقفت فرنسا في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) تدافع عن التعدد اللغوي والتنوع الثقافي. وتجدر الإشارة إلى أن مدرس الرياضيات في فرنسا يحاسب طلبته على أخطائهم اللغوية كما يحاسبهم على أخطائهم في الرياضيات.

وفي إسبانيا اجتمع أعضاء البرلمان بعد انتخاب (**خوسيه لويس ثاباتيرو**) رئيساً للحكومة الإسبانية في **١٤** آذار عام **٢٠٠٤**م تحت قبة البرلمان، وحاول ممثلو إقليم قطلونيا استعمال اللغة المحلية، غير أنهم فوجؤا بالرفض الشديد من (مانويل مارين) رئيس البرلمان الذي منعهم من استعمال اللغة المحلية لما تمثله من خطر من شأنه أن يهدد اللغة الإسبانية الرسمية، وقد استشهد رئيس البرلمان بالمادة الثالثة من الدستور الإسباني التي تنص على أن اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية التي ينبغي لجميع أبناء الشعب استعمالها .

وفي ألمانيا عندما سئل (بسمارك) عن أفظع الأحداث التي حدثت في القرن الثامن عشر، أجاب: إن الجاليات الألمانية في شمال أمريكا اتخذت اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها، وقد أثبتت الأحداث صدق رؤيته، فقد وقفت أمريكا إلى جانب إنكلترا في الحربين العالميتين الأولى والثانية. وللغة دور في تقارب الفكر وتوحيد الرؤى.

وورد في صحيفة (دي فيلت) الألمانية على صفحتها الأولى وبالخط العريض عنوان (لا شهادة ثانوية لضعيف في اللغة الألمانية) ويتحدث المقال عن طالبة ألمانية نجحت في مواد الشهادة الثانوية ما عدا اللغة الألمانية، فأقامت دعوى على لجنة الامتحانات، إلا أن المحكمة أصدرت حكمها برسوب الطالبة،

فاستأنفت الحكم، ولكن محكمة الاستئناف اعتمدت الحكم وقررت أنه (لا شهادة ثانوية لضعيف في اللغة لألمانية».

وفي بريطانيا أصدر المجلس القومي لمعلمي اللغة الإنكليزية قراراً يقضي بأن على كل معلم أن يكون معلماً للغة الأم أولاً، ذلك لأن تعليم اللغة إنما هو مسؤولية جماعية، وجميع المعلمين مهما تكن اختصاصاتهم ينبغي لهم أن يعلموا اللغة الأم من خلال تعليم موادهم. ولِمَ نذهب بعيداً فها هي ذي إسرائيل أقامت كيانها على إحياء اللغة العبرية، وهي لغة ميتة منذ ألفي سنة، فاعتمدتها في جميع شؤون حياتها تعليماً وإعلاماً وتواصلاً، حتى إن المؤتمرات الذرية والنووية تعقد باللغة العبرية لا بالإنكليزية .

٣ ـ اللغة العربية: سمات ومكانة

تُعد اللغة الأم هُوية المرء وهوية أمته التي ينتسب إليها في الوقت نفسه، ولغتنا العربية الفصيحة هي لغتنا الأم التي وحدت بين العرب في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم، وما تزال هي الرابطة الموحدة، شأنها في ذلك شأن الأمم التي توحد بين أبنائها وتحنو عليهم، وتشملهم برعايتها وعنايتها حباً وعطفاً واهتماماً .

إنها وسيلتنا للتعبير عن مشاعرنا وعواطفنا وأفكارنا،

ووسيلتنا لقضاء حاجاتنا، وتحقيق متطلباتنا في التواصل مع أفراد مجتمعنا، ووسيلتنا للتحكم في بيئتنا لأنها أداة للتفكير وثمرته.

إنها رمز لكياننا وثقافتنا والقلعة الحصينة للذود عن هويتنا وذاتيتنا الثقافية ووحدتنا القومية.

وهي لغة قرآننا الكريم وذاكرة أمتنا ومستودع تراثها، والرابطة التي جمعت وتجمع بين أبناء الأمة فكراً ونزوعاً وأداء، آلاماً وآمالاً، تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً.

ولقد كان ثمة خلاف بين اللهجات العربية القديمة قبل نزول القرآن الكريم فكان هناك خلاف في موضع إبدال الحروف والنطق، تمثل في الكشكشة عند ربيعة ومضر (إبدال الكاف شيناً في الخطاب) والفحفحة في لغة هذيل» إبدال الحاء عينا «والاستنطاء في قيس والأزد» جعل العين الساكنة نوناً«، والعجعجة عند قضاعة» جعل الياء جيماً.

وكان ثمة خلاف في معاني المفردات إضافة إلى الخلاف في إبدال الحروف والنطق، وكانت لغة قريش أوسع اللغات انتشاراً في الجزيرة العربية. وكانت قريش أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة كما يقول أحمد بن فارس في كتابه «الصاحبي في فقه اللغة».

ونزل القرآن الكريم بلغة قريش وتأثرت اللغة العربية

بالقرآن الكريم فاتسعت مادتها وتشعبت أغراضها ومعانيها، وتهذبت ألفاظها ورقت أساليبها.

وأكسب القرآن الكريم اللغة العربية عذوبة في اللفظ، ورقة في التراكيب، ودقة في الأداء، وقوة في المنطق، وثروة في المعاني، ووسع دائرة اللغة باستعماله الألفاظ الدينية كالصلاة والزكاة والصيام والركوع والسجود والمؤمن والكافر.....إلخ

وتتسم لغتنا العربية بسمات متعددة في حروفها، من حيث اتساع المدرج الصوتي فانفردت بحروف لا توجد في اللغات الأخرى كالضاد والطاء والعين والغين والحاء والقاف، وهناك تقارب في اللفظ بين بعض الحروف، وتقارب في الشكل بين بعضها الآخر، وثمة ثبات في الحروف العربية الأصيلة فتبقى محافظة على أصلها، إضافة إلى العلاقة بين الحرف والمعنى.

تتسم لغتنا أيضاً بالمنطقية في قوالبها والغنى في مفرداتها والدقة في تعبيرها، والإيجاز في تراكيبها والإعراب الموضح لمعانيها.

وتحتل لغتنا العربية مكانة كبيرة في نظر الباحثين والمستشرقين المنصفين، ولقد أشار إلى تلك المكانة الكاتب الإسباني القديم Alvaro في القرن التاسع الميلادي،

و«بيترارك» شاعر إيطاليا الكبير في القرن الرابع عشر الميلادي، والكاتب القاص الفرنسي «جول فرن» والمستشرق الإنكليزي «إدوارد نيسون روس» والمستشرق الإيطالي «كارل نلينو» والمستشرق الإيطالي «جويدي»، والمستشرق الأميركي «وليم ورل» والمستشرق الأميركي «كوتهيل» إذ يقول هذا المستشرق: «قلَّ منا نحن الغربيين من يقدر اللغة العربية حق قدرها من حيث أهميتها وغناها، فهي بفضل تاريخ الأقوام التي نطقت بها وبداعي انتشارها في أقاليم كثيرة، واحتكاكها بمدنيات مختلفة، قد نمت إلى أن أصبحت لغة مدنيَّة بأسرها بعد أن كانت لغة قبلية. لقد كان للعربية ماض مجيد، وفي تقديري سيكون لها مستقبل باهر».

ويقول المستشرق الأمريكي «وليم ورل»: «إن للغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنانها من التكيف وفق مقتضيات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وهي ستحافظ على كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي».

أما العالم الألماني «فريننباغ» فيقول: «ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرهم، وإن اختلافهم عنا في الزمان والسجايا

والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة».

ويقول المؤرخ «أرنست رينان»: «من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أمة من الرُّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها؟، وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في حلل الكمال لدرجة أنها لم تتغير أي تغير يُذكر، حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى، ولا نعلم شبيهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت محافظة على كيانها من كل شائبة».

ويشير «ماسينيون» الفرنسي إلى أن اللغة العربية لغة وعي ولغة شهادة، وينبغي إنقاذها سليمة بأي ثمن للتأثير في اللغة الدولية المستقبلية، وإن في اللفظ العربي جرساً موسيقياً لا أجده في لغتي الفرنسية، بحسب تعبيره

٤ ـ من التحديات التي تواجهها اللغة العربية

ثمة تحديات كثيرة تواجهها لغتنا العربية على الصعيدين الخارجي والداخلي، ومن التحديات الخارجية التي واجهتها في الماضي مواجهتها لتوسع الدولة الإسلامية وانتشار العرب

في بقاع من الأرض، لم يكن لهم بها عهد من أجناس ولغات وأديان وحضارات متعددة، وكان ذلك حرياً أن يلتهم هذه اللغة التي خرجت من نطاق ضيق وإطار محصور في الجزيرة العربية، وأن بقضي عليها ويستبدل بها غيرها من لغات الأمم الأخرى التي اتصلت بها وعاشت معها، وكانت أعرق منها في مجال العلم والثقافة والحضارة. ولكن اللغة العربية ازدادت اتساعاً في ميادين المعرفة وانتشاراً في أرجاء العالم المعروف آنئذ، وسرعان ما صارت هي لغة الإدارة والعلم والثقافة لأهلها وللعالم المعروف آنذاك، وتدفق الشعر والنثر والتأليف والترجمة والتعليم في العصر الأموي ثم في العصر العباسي، فحملت اللغة العربية علم الإغريق وفلسفتهم، وعلوم المسلمين وأدبهم من نثر وشعر إلى أوربا، وكان العلماء الأوربيون يستعملونها لغة للتعليم والتعلم، ويترجمون منها إلى اللاتينية.

ومن التحديات التي واجهتها لغتنا العربية في ماضيها هجمات المغول والتتر وإلقاء الكتب والمخطوطات العربية في نهر دجلة حيث ظلَّ ماؤه متشحاً بالسواد أربعين يوماً نتيجة لما ألقي فيه من كتب ومخطوطات.

ومن هذه التحديات أيضاً حملة نابليون على مصر ودعوته إلى نشر الفرنسية، وحملة التتريك التي رمت إلى استبعاد العربية وفرض اللغة التركية مكانها، ثم محاولات المستعمرين

فرض لغاتهم إبان احتلالهم للدول العربية، ومحاولات بعض المستشرقين في النصف الأول من القرن الماضي في اعتماد اللهجات العامية وكتابتها بالأحرف اللاتينية على يد القاضي «ويلمور» والمهندس «ويلكوكس». وقد سار نفر من أبناء العربية تحت لواء تلك الدعوات من أمثال سلامة موسى، وعبد العزيز فهمي، وأنيس فريحة. . . . إلخ.

أما التحديات التي تواجهها لغتنا العربية في عصرنا الحالي فتتمثل في بعض جوانبها بالعولمة، وهذه العولمة الثقافية تروم نشر اللغة الإنكليزية لغة القطب الواحد وهيمنتها في التعليم والتواصل، وهذا ما دفع أمريكا للوقوف ضد التنوع الثقافي والتعدد اللغوي في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو».

واتخذت محاربة اللغة العربية الفصيحة أشكالاً متعددة منها وصم لغتنا بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر والتفجر المعرفي، وبأنها لغة البداوة وليست لغة العلم، ووصمها بالصعوبة والتعقيد بسبب نحوها وصرفها وكثرة الحركات فيها، وأنها تُفهم لتقرأ خلافاً لبقية اللغات.

ومن هذه الأساليب إحياء الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية مجدداً وتشجيع البحوث التي تخدم العاميات وتقديم

الدعم المادي لها، حتى إن بعض الجامعات الأمريكية قامت بإلغاء تدريس اللغة العربية والاستعاضة عنها باللهجات العربية مثل الشامية والمصرية والمغربية والعراقية، كما أن فرنسا عملت على استبعاد العربية من امتحانات الشهادة الثانوية، حيث كان يُسمح للطالب باختيار لغة ثانية كالإنكليزية والألمانية والإسبانية والعربية. وابتداءً من عام **١٩٩٥** لم تعد العربية من بين هذه اللغات، واستعيض عنها بعدد من اللهجات العربية والكتابة بها. ومن الأساليب أيضاً إحياء لغات الأقليات وتقديم الدعم للقائمين بها تحت شعار حقوق الإنسان. وثمة توجه إلى إلغاء اللغة العربية من بين اللغات العالمية الرسمية في منظمة الأمم المتحدة، واللغات العالمية الرسمية في المنظمة هي: «الإنكليزية، الفرنسية، الإسبانية الروسية، الصينية، العربية»،

وذلك للأسباب الثلاثة الآتية:

١ ـ عدم وفاء معظم الدول العربية بالتزاماتها المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية في المنظمة .

٢ ـ عدم استعمال ممثلي الدول العربية للغة العربية في الأمم المتحدة، فهم يستعملون الإنكليزية أو الفرنسية في إلقاء كلماتهم ومناقشاتهم .

٣ ـ عدم وجود مترجمين عرب أكفياء يجيدون اللغة العربية.

ولقد ضغطت الدول الكبرى ومنها أمريكا على منظمة اليونسكو بخصوص حقوق التنوع اللغوي، مما جعل هذه المنظمة أخيراً تعلن أن الحقوق اللغوية تنحصر في **ثلاثة**:

١ ـ الحق في لغة الأم وليس اللغة الأم.

٢ ـ الحق في لغة التواصل في المجتمع.

٣ ـ الحق في لغة المعرفة .

وتعني هذه الحقوق فيما يتعلق ببلادنا العربية:

١ ـ لغة الأم هي اللهجة العامية أو إحدى اللغات الوطنية غير العربية .

٢ ـ لغة التواصل هي اللهجة العربية الدارجة.

٣ ـ لغة المعرفة العالمية هي الإنكليزية أو الفرنسية .

وفي ظل هذه العولمة الثقافية ذات القطب الواحد تنتشر الأفلام والمسلسلات المتلفزة والأغاني الأجنبية التي تطالعنا في كل مكان،وتصافح أسماعنا، وهي محملة بأنماط الحياة وأساليب التفكير والسلوك الغربية وخاصة الأمريكية حتى تتشربها الأجيال، وتغدو نمط حياة وأسلوب تفكير وسلوك، فتذوب شخصياتها في شخصية البلد المصدر، ويتغرب فكرها وشعورها، وتسود ثقافة واحدة،وتروج الدوائر المعادية لأمتنا لبعض المصطلحات، وتعمل على سيرورتها وانتشارها ومن بين هذه المصطلحات «منطقة الشرق الأوسط»، إذ إن هذا

المصطلح يشمل منطقة لا هوية لها، لإزالة الهوية العربية، وليحل هذا المصطلح مكان (الوطن العربي) أو(البلاد العربية)

أو (الأمة العربية).والغاية من ذلك كله تغريب الفكر وتأمركه وتصهينه، بغية إزالة الطابع العربي وإقحام إسرائيل في المنطقة لتصبح جزءاً عضوياً مقبولاً فيها، وشاع المصطلح دون وعي فكانت لنا محطة إذاعية وجريدة عربية كبيرة سُميت به

ومن المصطلحات (الشراكة الأوروبية المتوسطية)، وأسقط الشريك العربي، فباتت الشراكة أوربية فقط، أي بين الدول الأوروبية الواقعة على البحر المتوسط وحدها، وكان من الواجب أن يكون التعبير السليم (الشراكة الأوروبية العربية المتوسطية)، وكأن القصد تغييب الصفة العربية من كل مصطلح أو عبارة، من أجل أن تغيب معها الهوية العربية في نفوس الناشئة والأجيال القادمة، ومن أجل إقحام إسرائيل في هذه الشراكة .

ومن المحاولات أخيراً تفريغ المناهج والكتب في مراحل التعليم العام وفي المرحلة الجامعية الأولى من النماذج التأصيلية والنصوص التأسيسية للغة العربية وثقافتها، ،إما بحذفها أو بوضع نماذج ونصوص هزيلة مكانها، فيفرغ عقل الدارس ووجدانه من كل ما هو أصيل يصله بحقيقة لغته وثقافة

أمته. ويضاف إلى ذلك كله ضعف نسبة ما ينشر باللغة العربية على الشابكة «الإنترنت»، إذ إن ٨٠ ٪ من صفحات الموقع المتوفرة على شبكة «الويب»مكتوبة بالإنكليزية، وثمة نقص رقمي على الشابكة بالعربية وعدم اعتماد مواصفات محارف اللغة العربية وهذا يسبب الكثير من الإشكالات .

ومن الملاحظ التهميش للعربية لمصلحة الإنكليزية، على أن الإنكليزية هي لغة عمل وتواصل على الصعد، بدءاً من النشر العلمي وتبادل الخبرات التقانية «التكنولوجية» ومروراً بالتعليم العالي والتجارة والصناعة والإعلام والإعلان وغيرها، وصولاً إلى التعليم الأساسي ورياض الأطفال. وهذا يعني ضمور اللغة العريبة واستعمالها في مجالات تقليدية محددة، وقد يزداد دور اللهجات العامية في تأثيرها على الفصيحة.وإذا أضفنا إلى هذه التحديات التعتيم على ثقافتنا العربية والحقد على حضارة أمتنا، أدركنا عمق التحديات التي نواجهها، ففي احتلال العراق على يد الأمريكان والمتحالفين معهم تم تحطيم ضريح **نبوخذ نصر** وسوي بالأرض، وأصبح مكانه موقفاً للسيارات العسكرية، وتمت سرقة مليون كتاب من أمهات الكتب وسرقة ثمانية ملايين وثيقة، وسرقة ١٧٠،٠٠٠ لوحة أثرية منها ١٤،٠٠٠ لوحة ليس لها مثيل.

أما التحديات الداخلية التي تواجها لغتنا العربية فهي

البيئة الملوثة لغوياً من حيث استشراء اللهجات العامية، وانتشار الكلمات الأجنبية على المحال التجارية والمطاعم والفنادق والحياة العامة، والكلمات العامية والأخطاء النحوية على وسائل النقل وفي الإعلانات والإعلام، وفي الكلمات التي تلقى في المناسبات، وفي العملية التعليمة التعلمية في مدارس التعليم العام وفي المعاهد والجامعات وضبابية المقاصد في أذهان القائمين على تعليم اللغة وتعلمها، وقصور محتوى المناهج وضآلة الجانب الوظيفي فيها، وتخلف طرائق تعليم اللغة وتعلمها، والإخفاق في غرس الشغف بالقراءة ومحبتها في نفوس المتعلمين، إذ إن أبناء الأمة مبتلون بآفة العزوف عن القراءة، ففي أوروبا **٣٥** كتاباً للفرد الواحد يُقرأ سنوياً وفي إسرائيل **٤٠** كتاباً للفرد الواحد تطبع بالعبرية، وفي السنغال أربعة كتب للفرد الواحد، وفي الوطن العربي كتاب واحد لكل ثمانين فرداً.

وهناك إخفاق في إكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي، وضآلة نسبة ما يُترجم إلى اللغة العربية ومنها، وقلة البحوث العلمية في المجال التعليمي المتعلق باللغة، والجمود اللغوي، إذ إن اللغة العربية - كما يقول الدكتور طه حسين - لن تتطور ما لم يتطور أصحابها أنفسهم ولن تكون لغة حية إلا إذا حرص أصحابها على الحياة، ولن تكون لغة قادرة على

الوفاء باحتياجات العصر إلا إذا ارتفع أصحابها إلى مستوى العصر ثقافةً وسلوكاً وفهماً، أخذاً وعطاءً.

ومن التحديات الداخلية أيضاً ضعف التعبير الوظيفي وقلة الرصيد الحفظي، وهيمنة اللغات الأجنبية في الجامعات الخاصة وفي المدارس الخاصة حتى في رياض الأطفال، وضعف الانتماء وفتوره وضعف الوعي اللغوي، وليس هذا الضعف في الوعي اللغوي لدى الأميين فقط، وإنما لدى نفر من«المثقفين» الذين يهجرون لغتهم إلى استعمال العامية حيناً، وإلى استعمال الإنكليزية أو الفرنسية حيناً آخر.

٥ ـ التمكين للغة العربية

انطلاقاً من أهمية لغتنا العربية ومن دورها القومي في بناء أمتنا وتماسكها الاجتماعي، حرصت سورية على الحفاظ على لغتنا الفصيحة وعلى سيرورتها وانتشارها في جميع مناحي الحياة. ولهذا قاومت محاولات التتريك، الرامية إلى إبعاد اللغة العربية وفرض التركية مكانها إبان حكم الأتراك لبلاد الشام، وكان رواد التعريب الأوائل قد وقفوا جهودهم على التنقيب والبحث في رحاب لغتهم، واعتمادها على الألسنة والأقلام أسلوباً عربياً فصيحاً ومشرقاً. ثم عجز الاستعمار الفرنسي الذي ابتليت به بلادنا مدة خمس وعشرين سنة عن أن

ينال من منجزات التعريب ومسيرته، إذ بقي معهدا الطب والحقوق اللذان افتتحا عام ١٩١٩م يُدرسان باللغة العربية، وكانا نواة الجامعة السورية، وقد خاطب السيد (بونور) مدير المعارف العام في المفوضية العليا إبان الانتداب الفرنسي أساتذة الجامعة السورية آنذاك مباركاً لهم اعتماد اللغة العربية في التدريس، متمنياً عليهم ألا يضيعوا هذا الاحترام المقدر للغتهم، لأن من يدافع عن لغته يدافع عن أصله وعن حقه وعن كيانه وعن لحمه ودمه وفق تعبيره.

ولقد تكاملت الدراسات العلمية والدراسات العلمية والدراسات الإنسانية والأدبية باللغة العربية منذ ذلك الوقت وإلى يومنا هذا، وشمل التعريب مختلف التخصصات، وغدت سورية قلعة للتعريب والذود عن العربية، والحرص على سيرورتها وانتشارها نقية وسليمة على الألسنة والأقلام، وفي جميع مناحي الحياة،وصارت مضرب المثل على نطاق الساحة العربية في تمسكها بلغتها الأم والحفاظ عليها،

وكان المجمع العلمي العربي «مجمع اللغة العربية اليوم» مرجعاً للدوائر الحكومية في مسيرة التعريب وفي كل ما من شأنه تعزيز اللغة العربية .

وصدر المرسوم التشريعي ذو الرقم ١٣٩ بتاريخ ٦/ ١١/

١٩٥٢ يعزز استعمال اللغة العربية في البيئة، وذلك بمنع إطلاق الأسماء الأعجمية على المحال العامة والخاصة، كما صدر بتاريخ ٧/ ٥/ ١٩٧٠م بلاغ رئاسة مجلس الوزراء ذو الرقم ٩٥ / ب/ ١٧٠٩ / ٥ للحد من طغيان الأسماء الأجنبية على المحال العامة والخاصة، وصدر أيضاً كتاب من رئاسة مجلس الوزراء إلى الجهات المعينة ذو الرقم ١/ ٢٧٢١ بتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٩٨٠م يتضمن اعتماد توصية اللجنة الثقافية حول تعريب أسماء المحلات القائمة في البلاد، ونصت المادة الثالثة من قرار وزير السياحة ذي الرقم ٣٩٧ لعام ١٩٨٠م على أن تختار المكاتب والمنشآت السياحية على اختلاف درجاتها وفئاتها في التصنيف أو التأهيل أسماء عربية فقط، ويحظر عليها استعمال أسماء أجنبية، واستثنى القرار المنشآت السياحية الأجنبية ذات المستوى والتصنيف الدوليين، والخاضعة لأنظمة الوزارة والمرتبطة بها بموجب العقود المبرمة معها .

ومع كل هذا الحرص لوحظ أن ثمة انحداراً في المستوى اللغوي في مضمار تعليم اللغة العربية وتعلمها، إن في التعليم العام أو في التعليم الجامعي لدى طلبة الجامعات والمعاهد وفي مختلف الاختصاصات، فصدر المرسوم الجمهوري ذو الرقم /٧٥٩/ بتاريخ ١٠/ ٦/ ١٩٨٣م ينص على تدريس اللغة

العربية في المرحلة الجامعية الأولى في جميع سنوات الدراسة، في الكليات والمعاهد العليا في سورية، فيما عدا قسمي اللغة العربية والسنوات الأخيرة في كلية الطب البشري. ويدرس هذا المقرر على مدار السنة في النظامين الدراسيين الفصلي والسنوي، وألفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية لغير المختصين، ونُفذت التجربة منذ ثمانينيات القرن الماضي

ولم تقتصر إجراءات النهوض بالمستوى اللغوي على الطلبة فقط، وإنما امتدت إلى أعضاء الهيئة التدريسية، إذ أوصت اللجنة الثقافية في رئاسة مجلس الوزراء بضرورة العناية باللغة العربية في جميع الكليات واختيار المعيدين وأعضاء الهيئة التدريسية من الذين يحسنون اللغة العربية في التدريس. بيد أن هذه الإجراءات كافة لم تحقق الأهداف المرجوة، فما يزال الوضع اللغوي يعاني القصور في مختلف مواقعه، إن في العملية التعليمية في مدارس التعليم العام ما قبل الجامعي، وإن في التدريس الجامعي، وإن في البيئة الخارجية إعلاماً وإعلانات ومحافل ومنتديات وحواراً وتراسلاً .. إلخ.

ولهذه الأسباب مجتمعة صدر القرار الجمهوري ذو الرقم / ٤/ بتاريخ ٢٦/ ١/ ٢٠٠٧م بتكوين لجنة للتمكين للغة العربية العربية والمحافظة عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، وحدد القرار الجمهوري مهمة اللجنة بوضع خطة عمل

وطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها، ومتابعة تنفيذها. وقامت اللجنة المكونة والتي كان لي شرف رئاستها، بوضع خطة العمل الوطنية للتمكين في الأشهر الثلاثة الأولى من تاريخ تكوينها، وما تزال تتابع إنفاذها مع الجهات المعنية، وقد اشتملت الخطة على مسوغات وضعها فأبانت أهمية اللغة عامة، والأهمية القومية للغة الأم، وحرص الجمهورية العربية السورية على سلامة اللغة الأم، ثم وقفت الخطة على الواقع اللغوي والعوامل المؤثرة في العملية التعليمية التعلمية، وفي خارج العملية التعليمية التعلمية في البيئة الخارجية، كما وقفت على سبل المواجهة، وأبانت ما الذي ينبغي للجهات المعنية القيام به «وزارة التربية، وزارة التعليم العالي، وزارة الإعلام، وزارة الثقافة، وزارتا الاقتصاد والسياحة، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وزارة الأوقاف، اتحاد الكتَّاب العرب، مجمع اللغة العربية، الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية» وثمة إجراءات عاجلة لا بد من تنفيذها بسرعة ذكرتها الخطة، وتقوم الجهات المعنية بتنفيذها، وتتابع اللجنة عملية التنفيذ محاولة تذليل العقبات المعترضة، وتجتمع اللجنة شهريا وتقدم تقارير المتابعة إلى السيدة الدكتورة نجاح العطار نائب السيد رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية .

ولما كان للمعلمين دورهم الفعال في الارتقاء باللغة وإكساب الناشئة مهاراتها، كان حرياً بنا أن نقف على الأدوار المنوطة بوزارتي التربية والتعليم العالي، والتي عليهما تنفيذها، لأن للمعلمين دوراً أساسياً في عملية التنفيذ .

وزارة التربية:

أ ـ إجراء دورات تدريبية لمربيات الأطفال على استعمال العربية المبسطة في رياض الأطفال، والسعي التدريجي لأن تكون الرياض جزءاً من السلم التعليمي، وتوفير مستلزمات هذا المسعى من برامج وأنشطة وكراسات وأدلة . . . إلخ .

ب ـ إجراء دورات تدريبية للمعلمين كافة لتدريبهم على استعمال أساسيات لغتهم استعمالاً سليماً، وتوظيف دورات التدريب المستمر في جانب منها لهذا المسعى.

ج ـ التزام جميع المعلمين وفي مراحل التعليم كافة باستعمال اللغة العربية وفي العملية التعليمية التعلمية، وألا يخضعوا للترقية في وظائفهم إلا إذا أثبتوا إتقانهم أساسيات اللغة .

د ـ تنويع طرائق التدريس والمرونة في استعمالها بحسب الأجواء، بما يفسح المجال فيها لاستثارة المهارات

العقلية العليا من فهم وتطبيق وتركيب وتحليل ونقد وتقويم ... إلخ .

هـ - تدريب معلمي اللغة على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها ، والعناية بالتعلم الذاتي والمطالعة الحرة .

و - تشجيع المتعلمين كافة على استعمال العربية السليمة في مناشطهم اللغوية والتشدد في عدم قبول إجاباتهم بالعامية .

ز - تخصيص جوائز للناشئة المتميزين في استعمال لغتهم الأم في مناشطهم اللغوية .

ح - إعادة النظر في مضمون المناهج ولغتها لتكون لغة للحياة النابضة الزاخرة .

ط - التركيز على النحو الوظيفي وعلى التعبير الوظيفي في المناهج اللغوية.

ي - التركيز على القوالب والبنى اللغوية في عملية تعليم اللغة في المراحل الأولى قبل الدخول في المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم .

ك - الإكثار من حفظ النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار والخطب البليغة في مراحل التعليم كافة وخاصة المراحل الأولى، وعلى قدر حفظ

النصوص في المراحل الأولى يستقيم اللسان، ويتجلى ذلك في صحة القلم واللسان.

ل ـ ضبط الكتب المؤلفة بالشكل في جميع الكتب في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وضبط ما يُخشى منه اللبس في المراحل التالية.

م ـ التدريب المستمر على الكشف في المعاجم.

ن ـ إنتاج كتب إلكترونية مبسطة بالعربية .

س ـ تصميم دروس العربية بالحاسوب وعلى الشابكة «الإنترنت».

ع ـ تطوير أساليب الامتحانات في جميع المراحل التعليمية، وعدم الاقتصار في التقويم على الامتحانات الكتابية، مع ضرورة بناء أدوات موضوعية لتقويم الأداء اللغوي، على أن تتضمن في بعض جوانبها الضبط بالشكل.

ف ـ إجراء بحوث علمية لمعالجة المشكلات اللغوية في العملية التعليمية التعلمية.

ص ـ العناية بالمكتبات المدرسية وتزويدها بدوائر المعارف والمعاجم وأمهات الكتب والكتب الإلكترونية والسلاسل المتنوعة، على أن تكون اللغة المستعملة فيها سليمة

لغوياً، وعلى أن تكلف أُطر متخصصة بالمكتبات العناية بها .

ق ـ إغناء البيئة التعليمية التعلمية بمصادر التعليم المختلفة من كتب وصحف ومجلات ووثائق وصور ومجسمات وتسجيلات ورسوم وأشكال وشرائح وخطوط بيانية وحواسيب . . . إلخ.

ر ـ تفعيل المناشط اللغوية اللاصفية من صحافة مدرسية ومجلات وإذاعة مدرسية وكتابة إعلانات ولافتات، وإجراء مناظرات ومسابقات لاختيار الأداءات المتميزة وتخصيص جوائز لها

ش ـ تفعيل المسرح المدرسي والإكثار من عرض المسرحيات الناطقة بالعربية الفصيحة المبسطة وإشراك الناشئة في تمثيل أدوارها .

ت ـ زيادة الاهتمام بذوي الحاجات الخاصة، وتوفير البرامج اللغوية والوسائل التعليمية الملائمة لهم لدمجهم في المجتمع بصورة فعالة .

ث ـ الإشراف الفعال على المدارس الخاصة والارتقاء بواقع اللغة العربية فيها .

خ ـ التركيز على وضع مناهج خاصة لتعليم المغتربين وأبنائهم وغير الناطقين باللغة العربية بغية إكسابهم مهاراتها.

ذ ـ التركيز على اللغة العربية السليمة والشائقة في البرامج التعليمية التلفزية .

ض ـ التنسيق مع وزارة الإعلام لإنتاج برنامج تلفزي متقن لتعليم العربية لأبنائها وللمغتربين ولغير الناطقين بها في ضوء الاتجاهات التربوية المعاصرة.

وزارة التعليم العالي:

أ ـ اختيار الطلبة الراغبين في الانتساب إلى الكليات الجامعية كافة على أساس إتقان أساسيات اللغة العربية.

ب ـ التزام جميع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات والمعاهد استعمال اللغة العربية في العملية التعليمية.

ج ـ إعادة النظر في مناهج تعليم اللغة العربية لغير المختصين في ضوء اختصاص الطالب في كليته استثارة للدافعية، وتحقيقاً للمنحى الوظيفي.

د ـ إعادة النظر في برامج إعداد معلمي اللغة اختياراً وتأهيلاً وتدريباً.

هـ ـ تعميم تدريس اللغة العربية مطلباً جامعياً في كل الكليات الجامعية وفي الجامعات الرسمية والخاصة.

و ـ وضع خريطة بحثية بالتنسيق مع وزارة التربية لمشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها بغية معالجة هذه المشكلات بالأساليب العلمية.

ز ـ الأخذ بالحسبان أن يكون من بين شروط ترقية أعضاء الهيئة التدريسية إتقانهم أساسيات اللغة العربية.

ح ـ اعتماد المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية بدمشق في التدريس وفي الترجمة.

ط ـ تفعيل حلقات البحث لتؤدي الأغراض المرسومة لها من حيث تعويد الطالب البحث والتلخيص والعرض والمناقشة باللغة العربية السليمة في كليات الآداب والعلوم الإنسانية وتوظيفها في خدمة اللغة العربية الفصيحة.

ي ـ التركيز على اللسانيات التطبيقية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية وتوظيفها في خدمة اللغة العربية الفصيحة.

ك ـ إعادة الامتحانات الشفهية إلى أساليب تقويم الدارسين وعدم الاكتفاء بالامتحانات التحريرية في الصفوف الأخيرة من الدراسة الجامعية.

ل ـ الإكثار من ضروب النشاط اللغوي بالعربية الفصيحة في المناشط اللاصفية في الإذاعة والصحافة الجامعية

والمجلات والمسرحيات والمناظرات والمساجلات .... إلخ.

م ـ تخصيص جوائز للمتفوقين من الطلاب في أدائهم اللغوي وفي جميع المجالات اللغوية.

ن ـ تطوير قسم الصحافة في جامعة دمشق ليغدو كلية للإعلام بأقسامها المختلفة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية غايتها إعداد الأطر الإعلامية.

س ـ تفعيل الترجمة الآلية وإعداد الأطر المتخصصة في ميدانها.

الإجراءات العاجلة

أما الإجراءات العاجلة التي على وزارة التربية القيام بها فتتمثل في:

أ ـ عقد دورات تدريبية لجميع المعلمين لتدريبهم على استعمال أساسيات اللغة استعمالاً سليماً، وألا تقتصر الدورات على معلمي اللغة العربية وحدهم، انطلاقاً من أن تعليم اللغة مسؤولية جماعية، وأن استعمال اللغة السليمة من معلمي جميع المواد يسهم أيما إسهام في تحسين الواقع اللغوي للمتعلمين .

ب ـ إجراء دورات تدريبية لمربيات رياض الأطفال لتدريبهم على استعمال اللغة المبسطة في التواصل مع الأطفال.

ج ـ ضبط الكتب المؤلفة بالشكل في جميع المواد الدراسية، وخاصة في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، والاستمرار في عملية الضبط في المراحل التالية، على أن يضبط ما يخشى منه اللبس بوجه خاص .

د ـ تفعيل المكتبات المدرسية في المراحل كافة، والعمل على تعدد مصادر المعرفة في البيئة التعليمية التعلمية .

هـ ـ الإشراف الفعال على المدارس الخاصة والارتقاء بواقع تدريس اللغة العربية فيها.

و ـ التركيز على استعمال اللغة العربية السليمة والشائقة في البرامج التعليمية التلفزية وتلك الموجهة إلى الأطفال.

ز ـ الإكثار من حفظ النصوص من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر القديم والخطب البلاغية .

ح ـ تطوير أساليب الامتحانات، وتخصيص حيز من الدرجات للامتحانات الشفوية .

ط ـ إجراء بحوث علمية لدراسة مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها في مراحل التعليم العام.

ي ـ التزام المعلمين باستعمال العربية الفصيحة في دروسهم

كافة، وألا يقبلوا من المتعلمين إلا التكلم بالفصيحة، وأن يعملوا على إسباغ ثوب الفصيحة على كلامهم بالعامية .

ك ـ إعادة النظر في محتويات المناهج لتغدو وظيفية تُستعمل فيها لغة الحياة النابضة على أن يجمع فيها بين الأصالة والمعاصرة.

وأما الإجراءات العاجلة التي على وزارة التعليم العالي القيام بها فهي:

١ ـ جعل مقرر اللغة العربية متطلباً جامعياً في الجامعات الرسمية والخاصة وفي مختلف التخصصات .

٢ ـ تخصيص حيز من أساليب تقويم الدارسين للامتحانات الشفوية وعدم الاكتفاء بالامتحانات التحريرية لقياس الأداء اللغوي .

٣ ـ التزام أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات والمعاهد باستعمال العربية الفصيحة في دروسهم كافة في منأى عن استعمال العامية، وتدريب الطلاب على استعمال العربية في أسئلتهم وأجوبتهم.

٤ ـ تطوير المناهج تطويراً مستمراً مواكبة لروح العصر، والحرص على استعمال اللغة العربية السليمة فيها.

٥ ـ توحيد المصطلحات المستعملة في مؤسسات التعليم العالي بالتنسيق مع مجمع اللغة العربية .

٦ ـ قيام مجمع اللغة العربية بدمشق بإنجاز وضع مصطلحات الحياة العامة ومتابعة تصحيح الأغلاط المتأصلة في لغة الصحافة والإعلام والإعلانات، ومتابعة تحقيق كتب التراث .

٦ ـ خطاب القسم والتمكين للغة العربية

عندما أدى السيد الرئيس بشار الأسد القسم الدستوري أمام مجلس الشعب لولاية دستورية جديدة في السابع عشر من شهر تموز لعام **٢٠٠٧**م ألقى خطاباً شاملاً ومهماً بهذه المناسبة، وقد أشار في جانب من خطابه إلى إيلاء اللغة العربية المرتبطة بالتاريخ والثقافة كل الاهتمام والرعاية، كي تعيش في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا كائناً حياً ينمو ويتطور ويزدهر، وتكون في المكانة التي تستحقها جوهراً لانتمائنا القومي، ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات لتصبح أداة من أدوات التحديث، ودرعاً متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا. ويقول السيد الرئيس بهذا الصدد: «يجب إيلاء اللغة العربية، وهذا الموضوع هام جداً،

اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا، كل اهتمامنا ورعايتنا. بدأت بهذا الموضوع ووضعته في خطاب القسم لأن هناك تراجعاً بالنسبة للغة العربية المرتبطة بالهوية العربية .

ويجب إيلاء اللغة العربية التي ترتبط بتاريخنا وثقافتنا وهويتنا كل اهتمامنا ورعايتنا كي تعيش معنا في مناهجنا وإعلامنا وتعليمنا، كائناً حياً ينمو ويتطور ويزدهر، ويكون في المكانة التي يستحقها جوهراً لانتمائنا القومي ولكي تكون قادرة على الاندماج في سياق التطور العلمي والمعرفي في عصر العولمة والمعلومات ولتصبح أداة من أدوات التحديث ودرعاً متينة في مواجهة محاولات التغريب والتشويش التي تتعرض لها ثقافتنا. لقد أعطينا في سورية اللغة العربية كل الاهتمام، وتبوأت موقعاً رفيعاً في حياتنا الثقافية منذ وقت مبكر، ومطلوب منا اليوم استكمال جهودنا للنهوض بها ولا سيما في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجودنا القومي لمحاولات طمس هويته ومكانته، والذي يشكل التمسك باللغة العربية عنواناً للتمسك بهذا الوجود ذاته.

ويجب أن نتذكر أن دعمنا لتعلم اللغات الأجنبية للوفاء بمتطلبات التعلم والتواصل الحضاري مع الآخرين ليس بديلاً عن اللغة العربية، بل محفز إضافي لتمكينها والارتقاء بها».

ويتابع السيد الرئيس قائلاً: «أنا مهتم جداً بتطوير نفسي في اللغات الأجنبية وأتحدث بعض اللغات بطلاقة، ولا يوجد لدي مشكلة ومتحمس لهذا الشيء ولكنني في الوقت نفسه حريص على اللغة العربية. وأول سؤال أسأله بعد كل خطاب: ما عدد الأخطاء اللغوية التي وقعت فيها قبل أن أسأل عن مضمون الخطاب، علينا أن نركز بشكل مستمر على هذا الموضوع. في كل خطاب ننسى الكثير من الأفكار، ولكن لا أحزن، ولكن إذا كانت هناك أخطاء لغوية، فمع كل خطأ أشعر بالخجل». ويشدد السيد الرئيس على الخطر الكبير الذي يحدث إذا ضعفت اللغة العربية، فيقول: «عندما تضعف اللغة العربية، من السهل أن يضعف أي ارتباط آخر لنا سواء بالنسبة للوطن، بالنسبة للقومية، أو بالنسبة للدين، فهذه الأمور ترتبط باللغة».

والواقع أن هذه الدعوة الكريمة من قائد الوطن للحرص على سلامة اللغة، والتمكين لها في مناهجنا وتعليمنا وإعلامنا وفي سائر مناحي حياتنا، إنما يعطي دفعاً قوياً لتعزيز لغنا القومية، لأن هذا الاهتمام ليس اهتماماً عادياً وإنما هو اهتمام من قائد الأمة وحامي قيمها، وعلينا جميعاً أن نكون على مستوى هذا الاهتمام انتماءً وعملاً وأداءً..



فهرس الموضوعات

